هومكا
سلسلة المحققان تقية وسليمان
العدد1
رواية
هبة الله رزق عيسى

# هومكا

## حبة علكة أم قنبلة طبيعية؟!

Hebatullah Rizk Essa

هبة الله رزق عيسى

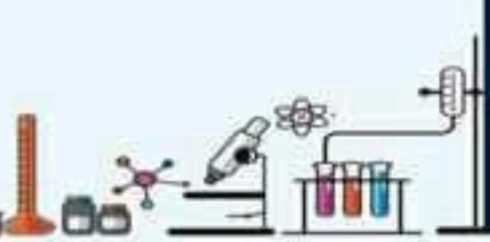

سلسلة المحققان تقية وسليمان

العدد الأول

رواية

# هومكا

الكاتبة

هبة الله رزق عيسى

تصميم غلاف خارجي وتنسيق داخلي وتعبئة وتدقيق لغوي: هبة الله رزق عيسى

# إهداء

إلى كل من فقد غاليًا وغيبه عنه الموت:
أهديكم هذه الرواية، كتبتها بقلب ينتحب ويعتصر حزنًا على فراق أمي الغالية. أسألكم الدعاء لها ولأبي بالرحمة، ولي بالصبر، ولكل حزين بالسلوى.

Hebatallah Rizk Essa

# إهداء خاص

إلى أهلنا الأحباب في فلسطين العربية الحرة الأبية والسودان أرض الطيبة؛ هذه الرواية كتبتها منذ عام ونصف ولكن أحداثها شبيهة لما تعيشونه الآن، وأرجو أن تكون أيامكم القادمة شبيهة بنهاية قصتها وليس ذلك على الله ببعيد.

وأهديها أيضًا لأرواح شهدائنا الذين ماتوا في إعصار درنة الليبية فوجع قلبي بموتكم وقتها لا يقارن بوجعي الأكبر عندما رأيت مشهد جنازتكم والذي هو نفسه المشهد الذي وصفته في هذه الرواية قبل أشهر من موتكم المفجع والذي للأسف تكرر أيضًا في غزة ورفح والسودان، رحمكم الله ورحم شهداءنا الأبرار في غزة وليبيا والمغرب وسوريا والسودان وكل شهداء المسلمين في كل بقاع الأرض.

هبة الله رزق عيسى

[تمت كتابة الرواية في نوفمبر ٢٠٢٢]

# مقدمة

حبة بيضاء صغيرة تشبه العلكة، ابتلعتها فانتفخت بطنك ثم في لمح البصر انفجرت، وفجأة تسقط جثة هامدة بدون حراك، ورغم ذلك فإن جسدك سليم من الخارج ولكنه من الداخل أصبح كالتابوت الفارغ! أما زلت تظن أنها مجرد علكة؟!

هبة الله رزق عيسى

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الأول

## "القصر"

بدأ الاحتفال مُبهجًا إلى حد كبير؛ فقد بدأ في التاسعة صباحًا في حديقة القصر الكبير الأبيض المُبْهِر في حجمه وتفاصيله التي تُوحي بثراء صاحبه الشديد. لم يكن المدعوون من أصحاب الثراء لكنهم كانوا أهل البلدة الريفية الكبيرة التي يوجد بها القصر والذي يملكه أحد أبنائها الذي عاد لها فاحش الثراء بعد سفر لأوكرانيا دام خمسة عشر عامًا فبنى ذلك القصر الجميل وخلفه بنى مصنعًا كبيرًا يعمل به أجانب وعُمال من خارج البلدة ولا أحد يعلم ما نوع المنتجات التي يُنتجها، الغريب أن صاحب ذاك القصر يفعل الخير بشكل كبير ولكنه لم يقبل أبدًا أن يعمل في مصنعه أو بيته أي شخص من البلدة، ورغم ذلك كلما قصده أحد ليجد عملًا كان يتوسط له في وظائف جيدة.

اليوم هو يوم الاحتفال السنوي بتخرج الأطفال من مدرسة الروضة التي أنشأها لتعليم الأطفال الصغار القرآن والقراءة والكتابة، وكالعادة يحضر الاحتفال من الصباح إلى الظهيرة الأمهات والأطفال والفتيات فيلعبون ويمرحون ويلتقطون الصور في هذا المكان الرائع، وبعد الظهيرة يأتي الرجال بعد أن ينتهوا من

دوام وظائفهم والشباب أيضًا فيُقدم للجميع وجبات غداء فخمة لكل أسرة على طاولة منفصلة وبعدها يبدأ الاحتفال الفعلي؛ والذي يبتدئ بفقرات يقدمها الأطفال ثم يُقدم لهم هدايا ويتم تكريمهم، وبعدها يعود الكل إلى بيته سعيدًا. كالعادة المتبعة في كل عام يرتدي النساء فساتين حريرية ذات اللون الوردي المبهج، وترتدي الفتيات اللواتي لم يتزوجن بعد سواء كُنَّ شابات أو مراهقات فساتين ذات لون سماوي هادئ، أما الرجال جميعهم من سن الخامسة عشر عامًا فما فوق فيرتدون بذلات رسمية سوداء، وكان الأطفال الصغار صبية وصبايا يرتدون سراويل كحلية اللون وقمصان برتقالية. في بداية الحفل كان الأطفال يلعبون معًا في ركن في الحديقة مليء بالألعاب، واجتمعت الأمهات ليلتقط لهن المصور صورة جماعية مبهجة وهُنَّ واقفات مقتربات بجوار بعضهن البعض. كانت الفتيات يصورهن مصور آخر في جانب آخر والشباب كذلك، كان كل من هم قريبون بالعمر يتصورون معًا؛ فالحفل مليء بالمصورين.

بعد الغداء وقبل بدء الحفل النهائي، كانت مجموعة من الأمهات واقفات يتحدثن معًا بالقرب من باب القصر وكل واحدة منهن تُمسك بطفلها في يدها، فوجئن بفتاتين -يرتديان زيًا كالذي ترتديه الممرضات لونه بين الأبيض والأخضر، أدنى درجات اللون الأخضر- يهبطان من السلم الخارجي للقصر بنفس السرعة التي

هبطن بها من السلم الداخلي بعد أن تركتا خلفهما على درجات السلم آثارًا لسائل شفاف أزرق لم تنتبه له أي واحدة من النسوة ولكنهن انتبهن أنهما تمشيان بسرعة باتجاه الطريق الطويل المجاور لحائط القصر والمؤدي للباب الفاصل بين القصر والمصنع، فظلت النسوة يراقبنهما حتى اختفيا عن الأنظار وقد اندهشن من الرائحة الغريبة المنبعثة من الفتاتين والبخار الخفيف الأخضر اللون المنبعث من ملابسيهما. ظلت النساء تتهامسن وتتساءلن عن تلكما الفتاتين ولِمَ تهرولان، ولم ينتبهن لأطفالهن وما حدث لهم؛ فقد استطالت أقدامهم وأصبحت بطول المتر! ولكن ظل باقي جسدهم كما هو؛ جسد أطفال في عمر الروضة!!

لم يلحظ أحد كذلك تلك الفتاة الفضولية ذات النظارات التي كانت تقف بعيدًا عن باقي أقرانها وعن النسوة اللواتي رأين الفتاتين، كانت تتأمل القصر والمزروعات عندما رأت الفتاتين هي الأخرى فتحرك الفضول داخلها وذهبت خلفهما بهدوء شديد حتى لا يلحظانها، فدلفت خلفهما من الباب الذي نسياه مفتوحًا من شدة اضطرابهما. رأتهما يدخلان من باب مبنى كبير مكون من طابق واحد يوجد في نهاية المنطقة التي بها المصنع، بعيدًا وحيدًا عن المصنع وطريق العمال، لم تدخل وراءهما لكنها دارت حول المبنى حتى استقرت إلى نافذة يُسْمَع من خلفها جلبة كثيرة فوقفت لتُنصت

وتروي ظمأ فضولها الشديد لمعرفة بمَ يعمل هذا الرجل الثري ومن أين أتى بكل أمواله تلك. كانت تقف في الخارج مختبئة خلف حائط تنظر من النافذة -التي أُزيحت ستائرها البيضاء السميكة قليلًا من الداخل- إلى ما يفعله هؤلاء الأطباء الذين يلتفون حول عدد من الطاولات ويرتدون ملابس غريبة بيضاء تُشبه تلك التي يرتديها أصحاب المناحل وقت وجودهم في المنحل ولكن هؤلاء يرتدون أقنعة زجاجية على رؤوسهم بها شيء مربع صغير من الخلف يبدو أنه خزان أكسجين صغير جدًا قد لا يتجاوز العشرين سنتيمترًا عرضًا وطولًا والعشرة سنتميترات ارتفاعًا وهو ملتصق بالقناع من الخلف وليس محمولًا على الظهر مثل رواد الفضاء، يا لها من بذلة غريبة لم ترَ تلك الفتاة مثلها من قبل في التلفاز أو الواقع! ولكنها أقل غرابة مما يفعلونه! فقد كان يوجد على طاولات أمامهم جثثًا حديثة لبشر وأسماك ضخمة وكانوا يفتحون أفواههم ويخرجون منها لفائف غريبة، لكن ما كان غريبًا أكثر من كل هذا أنهم عندما يفتحون الفم البشري كان يتسع بشكل كبير حتى يُصبح بحجم فم السمكة الضخمة، وأسنانه كذلك.... إنه مُرعب!!!

# الفصل الثاني

## "غموض"

كادت الفتاة أن تصرخ رُعبًا مما شاهدته لكنها قبل أن تفعل ذلك أتى من خلفها ووضع يده اليمنى على فمها وقيد يديها من الخلف بيده اليسرى وسحبها بعيدًا عن ذلك المبنى بحذر حتى يتفادى أن يراه أيًا من العمال أو الحراس الذين كانوا يظهرون بين الفينة والأخرى لكنه كان يختبئ منهم بسرعة وخفة؛ فهو يعلم كل شبر في هذا المكان جيدًا. نجح أخيرًا في الخروج بها من باب المصنع وأخذها لمكان بعيد عن الأنظار خلف شجرة نائية في حديقة القصر بجوار أحد جدران السور الخارجي. كادت هي تموت رعبًا طُوال هذه المدة، وعقلها به ألف سؤال وألف تخيل عما يمكن أن يفعله بها هذا الغريب الذي لا تعرف من يكون؛ هل هو من قريتها وأراد إنقاذها؟ أم هو من رجال صاحب القصر وسيقوم بتسليمها له؟ أو ربما يقتلها، أو قد يفعل بها شيئًا مُشينًا! عندما انتهى بها عند ذلك المكان الآمن أزاح يده عن فمها وفَكَّ قيد يديها وقال لها بصوت هامس: لا تصرخي وإلا تسببتِ بقتلنا.

التفتت إليه وهي تقول بصوت منخفض: من أنت؟ وماذا تريد مِني؟

نظر لها وقال بحدة: أعتقد أن من يجب أن يسأل هذا السؤال هو أنا لا أنتِ، لماذا كنتِ تتجسسين؟ لِمَ دخلتِ هذا المكان من الأساس وكيف؟

كادت أن تُجيبه على سؤاله لكنها بادلته سؤالًا بسؤال وقالت: من أنت؟ ولماذا أنقذتني؟

لاحت على وجهه بوادر الغضب وقال لها وهو يَضغط على أسنانه بغيظ: أيتها البلهاء! لا تُجيبي سؤالي بسؤال، لقد أنقذتك من موت محقق؛ فالأمر خطير، وهؤلاء أخطر، ولو علموا بما فعلتِ سيقتلونك على الفور دون تردد أو شفقة، هيا اذهبي من هنا سريعًا والحقي بأهلك، وعندما تخرجين من هنا لا تفكري بالعودة مطلقًا ولا تخبري أحدًا بما رأيتِ ولا حتى تتحدثي في الأمر بينك وبين نفسك وإلا وقتها سأكون أنا أول من يقضي عليكِ.

كانت تقف فاغرة فاهها كالبلهاء وتكاد عيناها تخرجان من محجريهما من الدهشة؛ فهي لم تستوعب ما قاله رغم أنها أذكى فتيات القرية والأولى دائمًا في كل مراحل تعليمها الذي أنهته نهائيًا منذ أيام.

بلاهتها زادت من غضبه فصاح بها: هيا يا حمقاء! نفذي ما قُلته.

أفزعها غضبه فهربت مسرعة من أمامه وهي تهرول حتى استقرت إلى حيث تقف الأمهات مع أطفالهن أمام باب القصر فصرخت عندما رأت ما حدث لهم فانتبهوا لصراخها وسألتها النسوة عن سبب صراخها بهذا الشكل فقالت لهن: انظرن لأبنائكن! ما الذي حَوَلَهُمْ لهذا الشكل؟!

نظرن جميعهن في وَجَلٍ وما إن رأين أبناءهن حتى صرخن جميعًا وصرخ الأطفال عندما رأوا بعضهم البعض، فانتبه جميع من بالاحتفال لصراخهم وأقدموا عليهم، وعندما رأوا الأطفال صاحوا بنسائهن: ماذا حدث للأولاد؟

أجابتهم النسوة: لا نعلم! فجأة أصبحوا هكذا!!

كان يقف بين الرجال صاحب القصر فتكلم محاولًا تهدئة الموقف حتى لا يُكْشَفَ أمره: اهدأوا ولا تقلقوا، ربما هي طفرة أو ربما فيروس ما، سأجلب لكم أمهر الأطباء من القاهرة ليتحروا الأمر ويفحصوا أبناءكم

جيدًا، ولكن الآن عودوا لبيوتكم، اهدأوا حتى لا يصاب الأطفال بصدمة عصبية ريثما أُجهز مكانًا لاستقبال الأطباء.

استجاب الجميع لطلبه وأخذ كل رجل أسرته وعاد إلى بيته، لكن عندما وصلوا بيوتهم وأرادت إحدى النساء الدخول من باب منزلها لم تستطع؛ فقد اصطدم رأسها بنهاية الباب من الأعلى فصرخت وتتابعت الصرخات من كل البيوت وتلاها نحيبهن؛ فقد استطالت قامتهن هن أيضًا! ليس هذا فحسب بل زاد عرضهن فلم يستطعن الدخول من الأبواب وحاولن بكل الطرق ولم ينجحن. لم يعرف الرجال ماذا يفعلون في هذا التغير المرعب لنسائهم وأطفالهم؛ فقد أصيبوا جميعًا بنفس العدوى ما عدا الفتيات والشبان وآبائهم الرجال مما زاد دهشتهم! لِمَ حدث ذلك لبعضهم فقط؟ ترك كل منهم امرأته وأطفالها في الخارج عندما هاتفهم عمدة البلدة وطلب منهم أن يجتمع لديه في بيته كل من لم يُصَبْ بهذه العدوى، فذهبوا إليه.

عندما اجتمعوا عند العمدة قال لهم: إن النساء لا يستطعن دخول البيوت بسبب تعملق أجسادهن؛ لذلك أتيت بكم إلى هنا لأخبركم بما عزمت عليه.

سألوه جميعًا في آن واحد: ما هو؟

فقال: سيذهب المؤذن إلى المسجد الكبير ويُنادي في المكبر أن على جميع النساء الذهاب للمسجد للإقامة به ريثما يتم علاجهن فبابه ضخم ويستطعن الدُلوف منه، عندما يستقرون بالمسجد سنغلقه عليهن ونمنعهن من الخروج حتى يأتي الأطباء، وليأخذن الأطفال معهن أيضًا فأنا أخشى أن تكون عدوى وتصيبنا جميعًا. لقد بعثت الخفر بكمية كبيرة من الأطعمة إلى المسجد قبل أن يدخلوه، والآن من يوافق يرفع يده.

رفع الجميع أيديهم، فأمر العمدة المؤذن بالذهاب وأن يغلق المسجد فور دخول الجميع إليه، فذهب مسرعًا وعندما سمعت النسوة النداء اسْتَجَبْنَ له وأخذن أطفالهن وذهبوا، وفور أن أُغلق باب المسجد احتضنت كل منهن طفلها وأخذوا يبكون في صمت وهم يبتهلون إلى الله أن ينقذهم مما أصابهم فهو وحده القادر على ذلك.

عاد الأهالي إلى منازلهم وقد اعتلى الهم وجوههم، وملأ الأسى قلوبهم لفراق أحبابهم وحزنًا على ما أصابهم، ولكن قلوبهم تأمل بالله خيرًا وترجوه أن يشفيهم.

عادت الفتاة إلى بيتها يملؤها الأسى لفراق أمها وأخيها الصغير، كانت دموعها غزيرة؛ فقد أصبحت وحيدة، فهي يتيمة الأب والآن ستكون وحدها في البيت دون أن تجد من يواسيها في كُربتها. ظلت طوال الليل متيقظة تفكر وتربط الخيوط ببعضها محاولة استنتاج السبب وراء ما حدث حتى غلبها النوم.

قُبيل الفجر بنحو الساعة نهضت من نومها مفزوعة بعدما سمعت صوتًا خفيضًا يناديها وهو يهزها من كتفها طالبًا منها أن تستيقظ، كادت أن تصرخ وهي تفتح عينيها لكنها لم تفعل، بل قالت بدهشة: أنت! كيف دخلت إلى هنا؟ بل كيف عرفت أن هذا بيتي؟!

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الثالث

## "غامض"

ما كادت تنطق هذه الكلمات حتى تحول وجه ذلك الشاب الذي تراه أمامها والذي هو نفسه من أنقذها في القصر إلى وجه أبيها وقال لها بصوت كأنه قادم من بعيد وليس من شخص يجلس أمامها مباشرة: أنقذي أمكِ وأخاكِ يا ابنتي، أنقذي البلدة كلها، الحل في يديكِ أنتِ، أسرعي يا ابنتي، كل يوم يَمُر يزداد الخطر، هيا يا ابنتي، هيا.

كادت تسأله كيف ولكنه اختفى فنادته: أبي! أبي! أين أنت؟ لا تتركني وحدي يا أبي فأنا أحتاجك، أبي! أين أنت؟

جاءها صوته مرة أخرى من بعيد دون أن تراه: الله وحده أعلم، تضرعي إليه وهو سيرشدك، هيا لا تتأخري.

اختفى الصوت مرة أخرى واستيقظت هي، نظرت في الساعة فوجدت أن أذان الفجر بقيت عليه نصف ساعة، فنهضت من فراشها وذهبت للحمام وتوضأت

Hebatallah Rizk Essa

ثم توجهت إلى مصلاها ووقفت بين يدي ربها تناجيه أن يَدُلها ماذا تفعل وكيف تنقذهم. ظلت تناجيه حتى الفجر فأقامت صلاتها وظلت تذكر ربها إلى أن طلعت الشمس فقامت من مُصلاها وأبدلت ثيابها وخرجت من البيت. إلى أين؟ لا تعلم لها وجهة، هي تمشي وحسب، فتلك عادتها؛ إذا شغل تفكيرها أمر ما فإنها تخرج إلى الشارع تمشي على جانب الطريق شاردة تفكر ولا تشعر بمن حولها حتى ينتهي بها المطاف دائمًا إلى مكانها المفضل؛ شاطئ الترعة أو كما يُطلق عليها أهل القرى (البحر)، هذا المكان يقع في أقصى البلدة، مواجهًا للقصر الكبير في الجانب الآخر من البحر، يفصل بينه وبين البلدة جسر قصير واسع، هذا المكان مليء بأشجار الموز وبعض الورود التي تجعله ظليلًا هادئًا لا يقترب منه أحد؛ لأنه في نهاية البلدة بعيدًا عن البيوت والحقول، فجلست على الأرض تنظر إلى البحر بشرود وما زالت تفكر، ماذا تفعل وكيف.

كان هناك يتمشى حول القصر من الخارج يفكر هو الآخر فلاحت منه نظرة إلى البر الثاني (جانب الترعة ناحية البلدة) فرآها تجلس هناك فذهب إليها مسرعًا ووقف خلف الشجرة التي تستند بظهرها عليها يضع هاتفه على أذنه متصنعًا الحديث عَبْرَهُ وقال بصوت خفيض: أنتِ يا ذات النظارات.

ما إن سمعت صوته حتى انتبهت وجحظت عيناها، لكن قبل أن تنطق بادرها بقوله: انتبهي! لا تنظري خلفكِ حتى لا ينتبه أي شخص لوجودي.

فهزت رأسها إيجابًا، فقال لها: لمَ لا تنطقين؟

أجابته بسخرية: لقد حركت رأسي إيجابًا.

فرد عليها بصوت خفيض غاضب: أيتها الحمقاء! كيف سأراكِ وأنا ظهري مواجه لكِ وتفصل بيننا شجرة؟!

فأجابته بنبرة ساخرة: وكيف لي أن أعرف أيها الذكي وقد أخبرتني ألا ألتفت؟

أجابها: لا تُطيلي الحديث فلا بد أن أعود سريعًا، ضعي رأسك على ركبتيكِ حتى لا يرى أحد أنكِ تتحدثين، أخبريني؛ هل يوجد أحد من أهلك في المسجد؟

فعلت كما قال قبل أن تُجيبه: نعم، أمي وأخي الصغير ذو العشرة أعوام.

سألها مرة أخرى: إذًا فأنت تقيمين مع أبيكِ، أليس كذلك؟

صمتت لبرهة ثم أجابته والدموع تخنقها: مات أبي منذ خمسة أعوام، أنا أقيم وحدي.

صمت قليلًا ثم قال: آسف، لم أقصد تذكيرك -رحمه الله-، الحمد لله أنكِ تُقيمين وحدكِ، أخبريني بعنوانك سريعًا.

جحظت عيناها مرة أخرى ورَفَعَتْ رأسها وسألته بِوَجَلٍ شديد: لماذا؟! ماذا تريد مني؟ لا تعتقد أنك ستستغل الموقف وتظن أنني ضعيفة، سأقتلك لو اقتربت مني.

ضحك ساخرًا ضحكة خاطفة وقال: يا لكِ من حمقاء! وهل أنتِ أنثى حتى أنظر لكِ؟ أريدكِ في أمر هام بخصوص ما حدث بالأمس وليس كما ظننتِ أيتها التافهة.

فغرت فاهها وقالت بدهشة وانزعاج: من تظن نفسك لتنعتني بأنني لست أنثى أيها الفظ.

صاح بها: لا تُضيعي الوقت في كلام فارغ، هيا أخبريني لكي أذهب.

وصفت له سريعًا موقع بيتها والذي يقع في أطراف البلدة من الناحية الأخرى داخل الحقل الخاص بهم.
سمع العنوان وأخبرها أن تنتظره ليلًا ثم ذهب سريعًا.

رأته يجري على الجسر عائدًا إلى القصر فقالت باندهاش: يا لك من أحمق غامض!

قامت من مجلسها وسارت باتجاه البلدة عائدة لبيتها وهي تفكر فيه هذه المرة؛ فهي لا تدري أتخشاه أم تنتظر لتحكم.

ما إن وصلت بيتها حتى دخلت المطبخ وأحضرت سكينًا كبيرًا ووضعته تحت وسادتها حتى إذا سولت له نفسه أن يؤذيها فتقتله فورًا.

مر اليوم بطيئًا كئيبًا لم تكفكف فيه دمعها قَطْ. من كثرة التفكير والبكاء نامت على سجادتها بعد صلاة العشاء.
عند منتصف الليل استيقظت على إثر وَكْزَهُ لها في كتفها عدة مرات طالبًا منها أن تستيقظ.

عندما أفاقت من نومها ورأته نهضت من رقدتها واعتدلت في جلستها سريعًا وقالت بدهشة: كيف دخلت والأبواب مغلقة؟

قال لها: هذا ليس بالأمر الصعب، هل من عادتك أن تتركي الأحاديث المهمة وتثرثرين بلا داعٍ في أي تفاهات؟

نظرت له نظرة مشمئزة ولم تنطق فتابع: لا تنظري إلي هكذا، المهم؛ ما اسمك يا حمقاء؟

أجابته بغيظ: لست حمقاء، بل أنت الأحمق، ولا تناديني بذات النظارات؛ فأنا لي اسم.

فقال بنبرة ساخرة: وما هو اسمك إذًا؟

أجابته: اسمي تَقِيَّة.

نظر لها بدهشة وقال: ماذا؟! ما هذا الاسم الغريب؟

أجابته: لقد أراد أبي أن يكون لي نصيبًا من اسمي فاختار هذا الاسم، وأرجو أن أكون اسمًا على مسمى، وأنت ما اسمك؟

أجابها: لا يَهُم اسمي ولا من أكون، المهم هو ما سأفعله.

فغرت فاهها من الصدمة وقالت: يا لك من أحمق غامض! جعلتني أخبرك اسمي ورفضت أن تخبرني من تكون! كيف أناديك إذًا أيها الغامض؟

قال: أعجبني لقب غامض هذا، إنه لطيف ويناسبني، ناديني غامض، لِمَ تفتحين فمك هكذا كالبُلَهَاء؟! دائمًا تتركين المواضيع الهامة وتتشبثين بالتفاصيل التي لا تُجدي نفعًا، لا تحاولي التحدث فأنت تثرثرين بلا داعٍ، اتركي المجال لي لأخبرك لمَ أتيت إلى هنا حتى لا يضيع الوقت هباءً، عندما أسألك فقط وقتها تحدثي، لقد أتيت لأتحدث إليكِ بشأن ما رأيتِيه بالأمس والذي كان سببًا لما حدث لأهل بلدتك، إن ما رأيتيه هذا لا شيء مقارنة بما أراه كل يوم، وما حدث لأهل بلدتك ليس بذاك السوء الذي تظنينه؛ فالأسوأ قادم! بل إن كلمة أسوأ قليلة على ما سنراه في الأيام المقبلة إن

حدث لأهلك مثلما حدث للجثث التي رأيتِها بالأمس
ستكون كارثة بكل المقاييس وسنهلك جميعًا....

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الرابع

## "مادة غريبة"

كانت تقية مُشتتة لا تدري ما تقول وفي داخلها صراع بين فضولها وبين خوفها مما وراء هذا الفضول؛ فهي تخشى ما سيقوله غامض لها، تريد أن توقفه عن الحديث حتى لا يقول ما يُزيد من قلقها على أمها وأخيها وفي نفس الوقت فضولها يزداد ويشتاق لمعرفة المزيد، فلربما تكشف سر ذاك الرجل الثري صاحب القصر والذي لم تُصدق أبدًا تَصَنُّعُهُ التقوى والورع وحب الخير ومساعدته للناس؛ فهي دومًا ما كانت تشعر أن تصنعه هذا غطاءً لستر أمر مريب، ولكن هل آن الوقت لتعرف السر أم لا؟

أفاقت من شرودها على صوت غامض يصيح بها: أيتها الحمقاء، بمَ تفكرين؟ أهذا وقت مناسب للشرود؟!

زوت ما بين حاجبيها وضيقت عينيها ونظرت إليه وقالت له: هات ما عندك.

شعر بالصدمة لوهلة من جديتها في الحديث ولكنه تابع حديثه قائلًا: هناك مادة كيميائية هي المسئولة عما

حدث لأهل قريتك وبعض من بالقصر، لها رائحة نفاذة، لو دققتِ النظر لرأيتِ أنها تُصدر دخانًا شفافًا لونه أخضر ينبعث في الأجواء فتعلق بالثياب والجسد لفترة قصيرة وتسبب العدوى لكل من يقترب من المصاب في أول لحظات إصابته بها عن طريق الشم أو التصاق الدخان المتطاير بالجسد والثياب لكنها تظل عالقة بهما فترة أطول فإذا قمتِ بلمس جسد المصاب تنتقل لكِ، تلك المادة غير معروف تركيبها حتى الآن ولا أيَّة طريقة لعلاجها رغم أن سبب وجودها معروف! لكن الأطباء الذين يعملون بالقصر لا يستطيعون معرفة ما هو أكثر فما زالوا يبحثون، الغريب أن آثارها تتفاوت من شخص لآخر حسب مرحلة إصابته بها؛ فكلما مر وقت أكثر كلما زادت قوة تلك المادة وأصبح تأثيرها أبشع؛ لذلك نرتدي جميعًا منذ الأمس تلك الثياب المخصصة داخل حدود القصر تلك التي رأيتِ الأطباء يرتدونها في المعمل.

صمت عن الحديث عندما لاحظ برود وجهها وعدم إبدائها أيَّة ردة فعل فسألها مستهجنًا: لمَ لا يبدو عليكِ الاندهاش والصدمة كأن ما قلته ليس غريبًا عليكِ؟!

أجابته بهدوء: الكيمياء بحر واسع وكل يوم نكتشف مُركبات جديدة، حقًا إن ما قلته غريب ومثير للدهشة والرعب لكنه شيق مثير للاهتمام بالنسبة لكيميائية

مثلي، فضولي الآن يتحرك أكثر؛ يريد تحليل تلك المادة ومعرفة كُنهها، لكن لا بد أن أعرف أولًا سبب ظهورها وآثارها المتعددة تلك فقد رأيت جزءًا منها، فهلا أخبرتني؟

ارتبك غامض وازداد غموضه أكثر ونظر في ساعته فوجدها الثالثة فجرًا فنهض من مكانه فجأة وقال لها: اقترب الفجر ولا بد أن أذهب سريعًا قبل أن يخرج الناس للصلاة ويراني أحدهم وأنا أخرج من بيتك فيظن بكِ الظنون.

قال ذلك وذهب من أمامها مسرعًا قبل أن تتدارك ما قاله وترد عليه! ففغرت فاهها بدهشة للحظات ثم قالت: حقًا يليق بك اسم غامض! فأنت تذهب في أهم اللحظات عندما أريد إجابة عن أهم الأسئلة! لقد سئمت منه ويبدو أنه لن يساعدني وسأضطر للتحقق من الأمر بنفسي، ولكن كيف؟ ومن أين أبدأ البحث؟

في صباح ذلك اليوم ذهبت في جولة لشاطئ البحر كعادتها وهي ما زالت تفكر منذ تركها غامض حتى استقرت إلى مكانها المعتاد ووقفت تنظر إلى القصر الذي يحوم حوله الغموض، والغريب أن ذلك الغموض لا يراه أحد غيرها! فكل أهل البلدة ينبهرون بجماله

وبهائه فقط! ولكن مثل هذه الأشياء لا تُبهر فتاة مثلها تعشق البحث والتقصي وتدقق في كل التفاصيل حولها ولكن في صمت؛ لذا تراها دائمًا شاردة تفكر، وها هي الآن تنظر لذلك القصر المهيب الذي تعرف أن مفتاح السر بداخله لكنها لا تستطيع الاقتراب منه. كادت رأسها تنفجر من شدة التفكير وأخذها الحنين إلى أمها وأخيها فبكت وشعرت بالحاجة الشديدة إلى أبيها فازداد بكاؤها، جثت على ركبتيها ووضعت كفيها على وجهها وتركت دموعها تنهمر بغزارة ويهتز جسدها من شدة البكاء، لو مر شخص ما بجوار المكان وسمع صوت بكائها لظن أنها تبكي في جنازة.

وها هو قد سمعها فرق قلبه لها وأراد مواساتها لكن كبرياءه منعه فتصنع الجدية وناداها من خلف الشجرة: يا ذات النظارات! هل تأتين إلى هنا كل يوم؟ لقد أتيت على أمل أن أجدكِ؛ فقد توقعت أن فضولك المميت هذا سيجعلكِ تحومين حول القصر.

كفكفت دموعها ومسحت وجهها بيديها وردت عليه بغيظ: ألم أخبرك باسمي من قبل أيها الأحمق؟ وأخبرتك أيضًا ألا تناديني بذات النظارات، لا تكن عنيدًا معي، فأنت لا تعرف كيف أكون عندما أغضب.

ضحك ضحكة خفيفة وقال لها ساخرًا: هل تظنين أنني سأخاف من فتاة تافهة مثلك؟!

غضبت أكثر وردت بحنق: أنا لست تافهة، أنا أذكى فتاة في هذه البلدة بل في الجامعة كلها، من تظنها تافهة تلك قد حازت على شهادات كثيرة لتفوقها العلمي، وأهدتني الجامعة مختبرًا صغيرًا جائزة على بحث قمت به من قبل، أنا عالمة ولست تافهة.

ظهر على ملامحه الاهتمام الشديد وقال لها: ماذا قلتِ؟ لديك مختبر! أين هو؟ هل هو خارج البلدة؟

سألته ببرود: ولم تسأل؟

أجابها بنبرة أخافتها: اسمعي أيتها الحمقاء، لا تجيبي سؤالي بسؤال، ليس هناك متسعًا من الوقت لأسئلتك التافهة تلك، لديك مختبر ولدينا مادة كيميائية غريبة فَلِمَ برأيك أسأل عن مكانه يا حمقاء؟

استدركت مقصده فقالت: الآن فهمتك، تُريد مِني أن أقوم بتحليل تلك المادة، أليس كذلك؟

زفر بحنق وقال: أخيرًا فهمتِ! أين ذاك الذكاء الذي تُصدعين رأسي به طوال الوقت؟ نعم يا حمقاء، أريدك أن تقومي بتحليل تلك المادة فلربما اكتشفتِ شيئًا لَمْ يكتشفه أطباء المصنع، سأجلب لك عينة من تلك المادة، ولكن أخبريني أين المختبر؟

أجابته تقية: المختبر في بيتي، في غرفة صغيرة بجانب البيت.

رد بسرعة وهو يتأهب للعودة للقصر: جيد إذًا، سأزورك ليلًا وسأجلب معي المادة، سلام الآن.

ردت بلهفة: انتظر! كيف سأحللها؟ فستنقل لي العدوى.

رد بزَهو: وهل تظنين أنني أحمق مثلك؟ بالتأكيد سأجلب لي ولك زيًا خاصًا، استعدي للِّقاء ليلًا.

قال ذلك وتركها وذهب مسرعًا وهو يركض عائدًا للقصر تاركًا إياها في حيرة من أمرها، فتحركت هي الأخرى عائدة لبيتها.

أتى منتصف الليل أخيرًا بطيئًا لأنها تنتظره منذ الصباح؛ فتلك هي العادة، عندما تنتظر شيئًا يأتيك على ظهر سلحفاة ولكن إذا كنت تخشاه وتتمنى ألا يأتي فإنه يأتيك بسرعة الضوء.

كانت تنتظره أمام باب البيت تترقب وصوله وها هو قد وصل أخيرًا ولكن ما الذي أصابه؟ لِمَ يبدو بهذا الشكل؟!!

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الخامس

## "اكتشاف"

كان غامض منهكًا وملابسه مغطاة بالوحل وتتساقط منها المياه، وكان يحمل في يده حقيبة ظهر جلدية سوداء أعطاها لها وقال: انظري ما أصابني بسببك؟ منذ رأيتك لم أَجْنِ سوى المشكلات والتعب، هيا أحضري أيَّة ملابس جافة لأغتسل وأبدل تلك الملابس المتسخة حتى لا أصاب بالبرد ويُكشف أمري، لمَ تنظرين إلي هكذا؟! أهذا وقت اندهاش! هيا أسرعي.

أصابها صياحه بالخوف ففتحت باب البيت فورًا ودلفت للداخل فدلف خلفها وأغلق الباب وانتظرها حتى جلبت له ثيابًا كانت لأبيها وأعطته إياها وأرشدته إلى مكان الحمام وفور دخوله ذهبت هي لِتُعِدَ له مشروبًا ساخنًا ليستدفئ به ووضعت الحقيبة على الطاولة في صالة البيت وقامت بتشغيل المدفأة بجوارها حتى تجف هي الأخرى فقد كانت مبللة.

بعد نصف ساعة خرج من الحمام مرتديًا ملابس والدها وكانت هي تجلس على الأريكة وقد وضعت الشاي أمامها على الطاولة فقال لها بنبرة متعجبة:
غريب! أين فضولك اليوم؟ لَمْ تفتحي الحقيبة بعد! ماذا دهاكِ يا تُرى؟

كان ظهرها باتجاهه فالتفتت بوجهها إليه لتجيبه ولكنها عندما رأته بملابس أبيها لم تتمالك دموعها فبكت ولم ترد فأدرك أنها تذكرت والدها فأراد أن يُلطف الجو بِرِقَتِهِ المعهودة! فجلس على مقربة منها وتناول كوب شاي وناولها إياه وقال وهو يتناول الكوب الخاص به: ما هذا البخل؟! ألا يوجد طعام في هذا البيت؟ أنا جائع.

نظرت له مستهجنة فقال لها: ما هذه النظرة؟! أنا جائع، ألن تُكرمي ضيفك؟ هيا اجلبي لنا أي شيء لنأكله لكي نستطيع العمل والتفكير.

تركت كوب الشاي ونهضت من مكانها دون أن تنطق، ذهبت للمطبخ وأعدت بعض الساندويتشات وأتت فوضعتهم أمامه على الطاولة وجلست دون أن تنبس ببنت شفة فتناول ساندويتشًا وأعطاه لها فأبت أن تأخذه فقال: أعلم أنكِ حزينة على ما حدث لأهلك وتفكرين بهم ولربما لم تأكلي شيئًا من وقتها، ولكن ستضعفين؛ لا بد أن تأكلي فهم بحاجة قوتك لا ضعفك، هيا تناولي طعامك حتى نبدأ العمل.

أخذت منه الساندويتش وبدأت بالأكل وكذلك هو.

سألته وهي تأكل: أخبرني ماذا حدث معك الليلة؟

قال: لقد كادوا أن يكشفوني.

قالت برعب: ماذا؟! كيف؟

أجابها: حاولت طوال اليوم أن أحصل على عينة لم أستطع، فخطرت لي حيلة؛ فأخبرت صاحب القصر أنني مضطر للسفر إلى القاهرة لأفحص ذراعي فقد عاد ليؤلمني فقال: "أتسافر في هذا الوقت ونحن بحاجتك؟ افحصه عند أطباء المصنع." فأخبرته أنني أخشى العدوى ولا بد أن أطمئن على ذراعي، فكيف سأنجز عملي دون ذراعي؟ فوافق وتركني أذهب فأخذت السيارة وذهبت، تركتها في جراج استأجرته في المدينة وعدت إلى البلدة فاختبأت على مقربة من القصر حتى حلَّ الليل فتسللت للمصنع ودلفت إلى المعمل وحصلت على عينة وعلى اثنين من الأطقم المخصصة ووضعتهم في تلك الحقيبة فقد اشتريتها من المدينة قبل عودتي ولكن عند خروجي رآني أحد الحراس فركض خلفي فصعدت السور مسرعًا وألقيت بنفسي في الترعة فخرج يبحث عني في الماء فسبحت بعيدًا حتى انتهيت إلى مستنقع مُوحِل فلبثت به قليلًا حتى اختفى الحارس ويأس من إيجادي فتسللت بين

الحشائش على جانب الترعة ناحية البلدة وخرجت فأتيت إليكِ مسرعًا وأنا أتلفت خلفي طوال الوقت لأتأكد أنه لم يلحق بي، لم أجده خلفي الحمد لله ولكنني مضطر للبقاء هنا ليومين حتى لا يشك بي أحد.

قالت وقد ارتسمت على وجهها علامات هي مزيج بين الخوف والدهشة: ماذا تقول؟! كيف تبقى هنا وأنا فتاة وحيدة؟! هذا حرام! وماذا سيقول أهل البلدة؟ بل كيف أطمئن وأنت هنا؟!

نظر لها ببرود وقال: أعرف أنه لا يجوز بقاء رجل وفتاة وحدهما طالما ليس من محارمها ولكن أنا مضطر لذلك ولن يعلم أحد بوجودي، ولا تخافي لن أؤذيك فلا وقت عندي لتلك التفاهات، بل لا وقت لدينا لأي شيء، نحن بحاجة كل دقيقة؛ فيجب أن نبدأ العمل الآن ونعرف سر تلك المادة قبل أن يتفاقم الوضع، هيا بنا إلى المختبر.

نهض من مكانه وفتح الحقيبة وأخرج منها الملابس فأعطاها واحدًا لترتديه وشرع في ارتداء الآخر فأخذته منه وذهبت إلى غرفة جانبية فارتدته وخرجت إليه فتناول الحقيبة وتقدمت باتجاه المختبر فتبعها حتى وصلا إلى باب الغرفة الذي يقع داخل البيت فدلفا إليها

وأغلقا الباب فأخرج من الحقيبة لفافة صغيرة وفكها فإذا بداخلها زجاجة صغيرة محكمة الغلق فتناولتها منه وفتحتها بحذر والتقطت منها العينة وبدأت بتحليلها بكل الطرق الممكنة لكن لا جديد؛ فهي مادة مبهمة بالنسبة لها لم ترَ مثلها من قبل! حاولت معرفة مكوناتها فوجدت أنها مكونة من تعفن لأجزاء من كائن حي من خلايا حيوانية مع مادة أخرى مبهمة لكن خلاياها نباتية فاندهشت وقالت له: من أين حصلت على تلك العينة؟

أجابها بتردد: من داخل جسد أحد الجثث التي رأيتِها من قبل.

فقالت بدهشة: هي جثة متعفنة، يبدو أنها توفيت منذ أيام، ولكن يختلط بها أجزاء من خلايا نباتية مبهمة! كيف وصلت لبطون تلك الجثث؟ والغريب أنها تبدو كالشظايا الناتجة عن انفجار! فكيف حدث ذلك؟! يبدو كأن هذه الجثة قد ابتلعت قنبلة! ولكن كيف ظل الجسد الخارجي سليمًا رغم انفجاره من الداخل؟! أخبرني ماذا تفعلون بتلك الجثث؟ وما تلك اللفافات التي تخرجونها منها؟ وكيف أدخلتموها؟! فلم أرَ آثار جرح في بطن الجثة من الخارج! بل أخبرني كيف يتسع فم شخص عادي مثلنا كل هذا الاتساع كأنه سمكة ضخمة؟!

رد عليها: لا أستطيع أن أجيبك.

فقالت له بحدة: كيف لا تستطيع؟! إن حل اللغز يكمن فيما تخفيه عني، وربما وجدت الحل إذا عرفته.

فقال: وربما لا تجدينه، فَلِمَ أجازف وأخبرك وأُعَرض نفسي للخطر؟

قالت بتوسل: أرجوك، حياة القرية كلها في خطر وحياتنا أنا وأنت قبلهم، أرجوك أخبرني الحقيقة حتى ننقذ الجميع، أرجوك لا تصمت هكذا.

صمت قليلًا وقد أحنى رأسه ثم قال: حسنًا سأخبرك، الأمر كله من البداية للنهاية له علاقة بعمل صاحب القصر، وعمله هذا ليس شخصيًا بل هي شبكة دولية خطيرة لهم أعوان في كل مكان يقومون بالمتاجرة بكل ما هو مشبوه، ليس هذا وحسب بل يُتاجرون بحياة البشر كذلك؛ فتلك الجثث لم تمت طبيعيًا.. بل قتلوهم وبأبشع الطرق دون شفقة أو رحمة، ذلك النبات الموجود في العينة هو من قَتلهم، فهو عبارة عن.... قنبلة طبيعية!!

# الفصل السادس

# "نبتة عجيبة"

زوت تقية ما بين حاجبيها وسألت غامض بفضول شديد: ماذا؟! قنبلة طبيعية! كيف ذاك؟ لم أسمع بشيء كهذا من قبل، ماذا تعني؟

أجابها غامض: إنها عبارة عن شجيرة صغيرة تنبت في أماكن معينة، منطقة واحدة فقط هنالك في أوكرانيا، إنها تنبت وتنمو طبيعيًا دون تدخل أي إنسان، تلك الشجيرة لا تزيد مساحة نموها عن النصف متر طولًا والعشرون سنتيميترًا ارتفاعًا، وهي بيضاوية الشكل لها أوراق خضراء صغيرة ولكنها سميكة تتحول إلى اللون الأبيض عند النضج، تستغرق منذ ظهورها إلى موتها مدة لا تتجاوز العشرة أيام؛ فهي تنبت وتكبر في فترة ثلاثة أيام، بعدها تُزهر أزهارًا صفراء بِتلاتها عبارة عن خيوط رفيعة، وتلك الزهرة خنثى تظل موجودة ثلاثة أيام تتلقح فيهم الزهرة ذاتيًا ويتكون الجنين وبعدها يصبح جاهزًا للقطف في خلال ثلاثة أيام فقط، وتلك الثمار عبارة عن ثمار دائرية بيضاء صغيرة منتفخة بحجم قرص الدواء وتشبه في ملمسها حبيبات العلكة حتى أنهم عندما حاروا في تسميتها أسموها هومكا والتي تعني علكة

باللغة الأوكرانية؛ لذا نتداولها فيما بيننا في علب العلكة، في اليوم العاشر تتفجر كل الثمار، وفي اليوم الحادي عشر يصبح النبات رمادًا كأنه لم يكن، تنبت كل خمسة شجيرات في آن واحد متجاورات لا يفصل بينهم أي شيء، أُكتشفت تلك النبتة في حقل للمخدرات تابع لأحد أفراد الشبكة فقد رآها صدفة يوم انفجارها والذي يكون محدودًا حوله فقط ليس هائلًا كأي قنبلة أخرى، بعدها اهتموا لأمر ذاك النبات وتابعوه حتى أثمر فقطفوا منه عينة ودرسوها فوجدوا أن تركيبها فريد من نوعه لا يوجد مثله قط في كل التركيبات الجينية، إلى أن حدث أمرًا عجيبًا لم يتوقعوه..

صمت غامض ونظر أمامه في الفراغ شاردًا فسألته تقية: ماذا حدث؟ أنت! فِيمَ شردت؟ أخبرني ماذا حدث؟

انتبه لها فتابع: في اليوم التالي وبينما كان ذاك الرجل ورجاله يتابعون حقل المخدرات هذا إذ بأحد رجاله يرى تلك النبتة فاعتقد أنها نوع جديد من المخدرات، وقبل أن ينبهه أحد قام ببلع ثمرة منها وما إن وصلت معدته واختلطت بأحماضها حتى انتفخت داخل بطنه لدرجة أن من حوله رأوا بطنه تكبر وقبل أن يتداركوا ما حدث سمعوا صوت انفجار؛ فقد تحولت لقنبلة كبيرة انفجرت داخله فسقط على الفور جثةً هامدة، لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه؛ فقد كانوا يظنون أن الجثة

ستنفجر كليًا لكن مرت ساعة وهم واقفون يراقبونه ولم يحدث شيء جديد فاقتربوا منه معتقدين أن بطنه قد انفجرت من الخارج أيضًا ولكنهم عندما قلبوا جثته وجدوا جسده سليمًا من الخارج ولا يوجد نقطة دم واحدة خرجت منه، أرادوا دفنه مكانه لكن صاحب الحقل أوقفهم وأمرهم أن يأخذوه إلى مقرهم ليقوم الأطباء بتحليل جثته، أخذوه إلى المقر وبدأ الأطباء والكميائيون بالعمل واكتشفوا شيئًا عجيبًا! لقد وجدوا أن القنبلة جعلت كل ما بداخل الجسد رمادًا! لكنه ما زال سليمًا من الخارج؛ لم يتأثر عظمه أو لحمه أو جلده، فقط الأحشاء الداخلية اندثرت وأصبح الجسد جافًا من الداخل كأنه مُحَنط، هنا خطرت لصاحب الحقل فكرة شيطانية؛ لقد قرر أن يستعمل ذلك النبات كأداة قتل دون إثارة الشكوك، منذ ذلك الوقت وهو يستخدمها في قتل كل أعدائه وكل من لم ينفذ أوامره من رجاله، حتى علم القائد الأكبر لتلك الشبكة بالأمر فقتل صاحب الحقل بنفس النبات لأنه لم يخبره بأمره واستعمله وحده دون أوامر منه، بعدها استولى على ذاك الحقل وأمر بترك الأرض فارغة بعد حصد محصول المخدرات لكي يكون أمام ذاك النبات مساحة شاسعة لينمو فيها بكثرة ولكنه لم يستخدم هذا النبات في قتل أعدائه فقط، بل استخدمه بطريقة شيطانية ليكون وسيلة لتداول كل أنواع تجارته لأي مكان بعيدًا عن أعين الإنتربول وكل أجهزة الشرطة حول العالم.

صمت غامض فقد أتعبه الحديث وصار الوقت فجرًا فطلب منها أن ينام لأنه قد أُنهك بشدة وسيكمل في الغد فوافقت على ذلك. قبل أن يتركا المختبر طَهَّرا تلك البذلات وخلعاها في المختبر وذهب كل منهما إلى غرفة وظلا يفكران قليلًا، كان غامض يفكر كيف يخبرها باقي الحقيقة؟ وكيف ستستقبلها؟ وكانت تقية تفكر يا ترى هل أخبرها كل الحقيقة أم ما زال يخفي الكثير؟ ظلا هكذا حتى أنهكهما التعب والتفكير فناما دون أن يشعرا.

في الصباح استيقظا على صوت النداء المتكرر من المسجد الآخر في القرية، نظر كل منهما في هاتفه فوجد أن الساعة قد قاربت العاشرة فنهضا وأنصتا للنداء؛ فإذا به يطلب من جميع من بالقرية الاجتماع عند العمدة في بيته، سألت تقية نفسها وقد شعرت بقلق شديد: تُرى ما الجديد؟

نهضت من سريرها وقلبها وَجِل فذهبت إلى غرفة غامض وقبل أن تدق الباب فتحه هو فبادرها بالسؤال: هل ستذهبين؟

أجابته: نعم، لا بد أن أذهب رغم أنني أخشى أن يكون قد جد جديد ويكون مؤلمًا.

طمأنها غامض قائلًا بهدوء؛ فقد شعر أنها تخشى على أمها وأخيها: لا تقلقي، ستكون كل الأمور بخير، هيا اذهبي وسأنتظرك ريثما تعودين.

أومأت برأسها إيجابًا وتوجهت للباب وفتحته وخرجت ثم أغلقته خلفها بالمفتاح.

سارت في طريقها مسرعة حتى لا يفوتها شيء، وها هي قد وصلت بيت العمدة الذي انتظر حتى اجتمع الجميع قبل أن يقول: يؤسفني أن أخبركم بأمر مأساوي.

انتبه له الجميع في ترقب ووجل وجميعهم يخشون ما سيقوله فتابع حديثه الصادم: لقد ذهب الخفر في السابعة صباحًا بطعام لأهلنا بالمسجد بعدما طلبت منهم ذلك، فطرقوا الباب وأخبروهم أن يخرجوا ليأخذوا الطعام؛ فقد فتحوا لهم الباب وتراجعوا للخلف عدة أمتار منتظرين أن يخرجوا ويأخذوا الطعام حتى يغلقوا المسجد مرة أخرى، لكن طال الانتظار ولم يخرج أحد، عاد أحد الخفر إلى المسجد وطرقه عدة مرات لكن لم يجبه أحد! فرجع لباقي الخفر وأخبرهم فقرروا أن يأتي أحدهم إليّ ليخبرني بالأمر ويسألني ماذا يفعلون، فطلبت منه أن يفتح أحدهم الباب وينظر بالداخل

ليكتشف ماذا دهاهم، فذهب وأخبرهم فقام أحدهم بفتح الباب لكنه عندما فتحه وجد أن كل من بالمسجد قد...

سكت هنيهة قبل أن يتابع وقد اختنق صوته حزنًا: لقد وجدهم جميعًا راقدين، فاقترب منهم وقام بهز أحدهم بيده فلم يتحرك فعل ذلك مع الجميع لم يتحرك أحد، فخرج من المسجد مسرعًا يحث الخطى إلى حيث يقف باقي الخفر وأخبرهم بما رآه، فأتاني أحدهم وأخبرني بما حدث، فأخذت الطبيب وذهبنا إلى هناك وليتنا ما ذهبنا، لقد اكتشف الطبيب أن جميع من بالمسجد قد.... ماتوا منذ الأمس!!

# الفصل السابع

## "فقد"

انتهى العمدة من حديثه فخانته دموعه حُزنًا على من فقدهم؛ زوجته وأبناءه، وعلى جميع أهل البلدة، فالمصاب جلل. ارتفعت أصوات الصياح والنحيب وبكى كل شخص على فراق زوجته وأبنائه؛ فالقرية الآن أصبحت بلا زوجات وبلا أطفال، لم يبقَ فيها إلا كبار السن من الرجال والنساء والشباب وطبعًا الأزواج.
كان الجميع حزين ينتحب، بينما تقية وقفت مكانها لم تنطق ولم تتحرك من شدة الصدمة لبعض الوقت؛ فالكل حزين لفراق بعض أهله، أما هي فقد فقدت كل أهلها وأصبحت الآن وحيدة تمامًا؛ فقدت سندها وقوتها وظهرها وحمايتها بفقدان الأب والأخ، وفقدت الحنان والأمان، فقدت الروح فقدت القلب، فقدت الأم، ويا له من فقدان! فلو غاب الأب والأخ تعوضهم الأم، ولكن ماذا بعد أن فقدت الحبيبة؟ من سيكون سندها؟ من سيحتضن ضعفها؟ من سيحنو عليها؟ من سَيَرِقُ لحالها؟ من سيدعمها؟ بل من سيواسيها في فقدان الأحبة؟ ما كادت تفيق من صدمة فقدانها لأبيها حتى أتى خبر موت أمها وأخيها ونزل على رأسها كالصاعقة فتحطمت نصفين وتمزق قلبها لأجزاء صغيرة لن تلتئم مع بعضها أبدًا.

يا له من ألم! ذاك الذي انتاب تلك القرية المنكوبة؛ ففقدان شخص أمر صعب! فما بالهم وقد فقدوا نصف قريتهم في آن واحد وبطريقة بشعة لا يعرفون السبب من ورائها ولا كيف حدث لهم ذلك؟ ولكنهم يعلمون أن ذلك اليوم المشئوم في ذلك القصر الملعون هو السبب فيما حدث، وقد أصبح الكل الآن في قلبه حقدًا على القصر وصاحبه؛ غُصةً وألمًا وقناعة بأنه هو من قتلهم.

لم تستطع تقية البكاء ولا الحديث لبعض الوقت في محاولة يائسة منها أن تستوعب الخبر، فهي لا تكاد تصدقه، فكيف تصدقه؟! وموت الأم هو الحقيقة التي نرفض تصديقها حتى نلحق بها. فجأة استدركت ما قِيلَ فصرخت بأعلى صوتها بأقصى قوة لديها، صرخة خرجت من أعماقها تحمل الكثير من الأسى والألم وهي تجثو على ركبتيها، انتبه الجميع لها وصمتوا احترامًا لحزنها؛ فمهما كان مصابهم فلا يساوي حجم مصابها، ولكن من سيحتضنها الآن ليهدئها كما فعلت أمها يوم فقدت أباها؟ أين أمها الآن لتواسيها؟ كانت تفكر بكل هذا بينما كانت لا تكف عن الصراخ، ففقدت وعيها فحملتها بعض الفتيات وأخذنها لبيتها، أخذت إحداهن المفتاح من يدها وحاولت أن تفتح الباب فسمع غامض الجلبة فذهب سريعًا واختبأ في المختبر. دخلت الفتيات

وأدخلن تقية إلى غرفتها وحاولن إفاقتها، بعد وقت قليل أفاقت وحاولت أن تنهض فسألنها: إلى أين؟

فقالت: سأذهب إلى أمي، أريد أن أراها.

منعتها الفتيات وقالوا أن الشرطة أتت لتأخذهم إلى المشرحة ليقوم الطب الجنائي بتشريحهم. بكت تقية وحاولت مقاومتهن تريد أن تذهب إلى هناك لتراهما قبل أن تأخذهما الشرطة ولكن أتت فتاة من الخارج وأخبرتهن أن الشرطة أخذتهم بالفعل فلا داعِ للذهاب؛ فقد ذهب كل الرجال معهم وأُغلق المسجد، وجميع فتيات القرية موجودات بالخارج في بيتها.

ما كادت تعلم بذلك حتى بكت وحاولت الفتيات تهدئتها فلم يستطعن؛ فقد ازداد بكاؤها وارتفع صراخها صائحة تنادي: أميييييي! لا تتركيني، ما زلت بحاجتك، أميييي! أين أنت؟ لا تموتي أرجوكِ، لمَّ ذهبتِ فجأة دون أن تودعيني؟ ألم تشتاقي لي؟ تركتيني دون وداع، دون أن أنظر لكِ نظرة أخيرة، دون حضن أخير، كيف تتركوني وحدي؟ أهانت عليكم تقية؟ أهان عليكم أن لا تأخذونها معكم؟!

احتضنتها إحدى الفتيات وهي تبكي، وبكت جميع الفتيات؛ فجميعهن الآن أصبحن بلا أم، ويا لها من مأساة وألم بالغ! فهل هناك ألم أعظم من فقدان الأم؟!

كان غامض في المختبر الذي يقع بالقرب من غرفة تقية وسمع كل ما قيل وعلم بما حدث، فَرَقَّ قلبه لتقية وخانته دموعه فبكى رثاءً لحالها؛ فهو يعرف حجم ألمها جيدًا؛ فهو أيضًا ذاق مرارة اليتم مثلها منذ سنوات. جلس على الأرض واحتضن ركبتيه بيديه يبكي دون صوت حتى لا يسمعه أحد، بكى متذكرًا أبويه، بكى لأنه لا يستطيع دعم تقية ومواساتها، ظل يبكي حتى قطع بكاءه صوت هاتف يرن بصوت مكتوم فَهَبَّ واقفًا وأسرع إلى حيث الحقيبة وفتحها، أخرج هاتفه مسرعًا فكتم صوته ولم يستطع الرد؛ فالمتصل هو صاحب القصر، ومن المؤكد أنه علم بما جرى في القرية، لو سمع صوت الصياح حوله لكشف أمره وأدرك أنه في القرية وليس القاهرة. غير حالة هاتفه إلى وضع الصامت وذهب إلى الباب الخارجي للمختبر وفتحه ثم نظر إلى الخارج بحرص فلم يجد أحدًا، خرج وأغلق الباب خلفه بهدوء والتف حول البيت متجنبًا أن يراه أحد حتى استطاع أن يسير بحرية، وما إن وصل مكانًا جانبيًا بعيدًا عن القرية حتى هَاتَفَ صاحب القصر الذي صاح به فور أن أجاب على المكالمة قائلًا: أين أنت يا سُليمان؟

أجابه سليمان محاولًا التظاهر بالثبات: أنا في الطريق قادمًا من القاهرة، ما الأمر؟ هل هناك خطب ما؟ أقلقتني نبرتك.

صاح به صاحب القصر مرة أخرى: هناك مصيبة! أَسْرِعْ، حاول أن تصل في أقرب وقت، أحتاجك بشدة.

رد سليمان بارتباك: حسنًا سأكون عندك في أقرب وقت ممكن، سلام الآن.

أغلق الهاتف وأوقف سيارة وركبها متوجهًا إلى المدينة، وفور أن وصلها اتجه إلى الجراج الذي استأجره لسيارته وأخذها وعاد متجهًا إلى القرية مرة أخرى. ما إن وصل القصر حتى وجد صاحب القصر ينتظره في مدخل قصره وقد لاحت على وجهه علامات التوتر الشديد، فصاح بسليمان فور أن رآه: أعلمت ما حدث؟ لقد مات كل من كانوا بالمسجد وأخذتهم الشرطة إلى المشرحة.

رد سليمان محاولًا تهدئته فقال: اهدأ! ما بالك متوترًا هكذا؟ ما حدث قد حدث، ما شأننا نحن بهذا؟

سأله صاحب القصر مستهجنًا: أتهزأ بي؟! كيف لا شأن لنا وقد حدث لهم ما حدث هنا في القصر يوم الحفل؟ سأكون الآن المتهم الأول، ماذا سأفعل الآن؟

أجابه سليمان: يا للهول! إذًا يجب عليك أولًا أن تهدأ حتى لا تُثير الشكوك ثم علينا أن نتخلص من الجثث والبضائع حتى لا تجدهم الشرطة عندما يبحثون.

رد صاحب القصر: بالأمس أتى التجار وأخذوا كل البضائع، وقد تخلصنا من الجثث بالفعل بعد ما حدث بالأمس.

سأله سليمان بترقب وقد وجل قلبه خوفًا أن يكون قد علم أنه هو من تسلل للقصر بالأمس: وماذا حدث بالأمس؟!

قال صاحب القصر: لقد حدث أغرب شيء رأيته في حياتي! لقد تحولت كل الجثث فجأة إلى رماد!!

# الفصل الثامن
# "تَرَقُّبْ"

صُدِمَ سُليمان مما سمع فهذا آخر ما كان يتوقعه! هذا الذي حدث قد زاد الأمر تعقيدًا، هذا يَعني أنهما لن يستطيعا أخذ عينة مرة أخرى.

سأله صاحب القصر: فيمَ أنت شارد؟

أجابه سليمان: فيما حدث، أخشى أنه ربما يحدث لجثث أهل القرية مثلما حدث مع تلك الجثث وحينها قد تظن الشرطة أن الجثث سُرقت ونُتَّهم نحن بذلك.

ظهرت بوادر القلق على ملامح صاحب القصر وقال بتوتر: سليمان، يجب أن أسافر في أسرع وقت.

رد سليمان بسرعة: ماذا تقول؟! إنك بذلك تُثير الشكوك حولك أكثر، يجب أن تطرد القلق من قلبك وتظل صامدًا، أنا مُندهش! كيف تخاف من الشرطة العادية وأنت لم تَخف من الإنتربول قط؟!

أجابه صاحب القصر الذي ما زال متوترًا: الأمر يختلف؛ فالإنتربول واثق أنني عضو في تلك الشبكة ولم يستطع منعي من أداء مهامي، ولكن الشرطة هنا لا تعلم وقد يفتح التحقيق في هذه القضية علينا أبواب شر عدة؛ فلو عَلِمَ القائد الأكبر أنه تم كشفي هنا فسيتخلص مني ويبحث عن شخص آخر ينوب عني؛ فهو لا يَهُمه الأشخاص، فتجارته هي الأهم لديه.

سأله سليمان: لا أدري لمَ أنت متوتر بهذا الشكل؟! البضاعة وأخذها أصحابها، والجثث قد تبخرت، ما المريب في الأمر إذًا؟ لا تقلق وكُن ثابت الجَنان، هيا ادخل قصرك واجلس بهدوء حتى إذا أتت الشرطة فجأة وجدتك لا يَرِفُ لك جَفن.

سأله صاحب القصر بِوَهَنٍ: وأهل القرية؟

تفاجأ سليمان من السؤال فسأله بدهشة: ما بهم؟!

رد صاحب القصر متسائلًا: ألن يَسْعَوْا للانتقام؟

ضحك سليمان بقوة فنظر له صاحب القصر باستنكار فكف عن الضحك وقال: أتخشى هؤلاء القرويون؟!

كيف ينتقمون منك وهم يُكنون لك كل هذا الحب؟ هم لا يستطيعون أن يقتربوا من القصر ولا أن يعبروا الجسر إلا إذا سمحت لهم، فضلًا عن أن لك الكثير من الفضل عليهم، بل لمَ ينتقمون منك وقد كنت واقفًا بينهم عندما حدث ما حدث؟ فلا يوجد أي دليل على أنك السبب، ولو ظنت الشرطة أن الطعام هو السبب؛ فلماذا أصيب به النساء والأطفال فقط دونما الرجال والشباب؟ لا ت...

قاطعه صاحب القصر مُرتعبًا: أقلت دليل؟ إن هناك دليل بالفعل!

سأله سليمان بعدم فهم: ما هو؟

رد عليه صاحب القصر بلهجة مرتعبة: أنسيت كاميرات التصوير التي كانت تُصور الحفل؟! وما يُدريك أنها لم تلتقط صورًا لحظة مرور الممرضتين من أمام النسوة وأطفالهن قبل لحظات من تعملقهن؟! أنسيت أن آثار الإصابة بتلك المادة اللعينة تترك بخارًا مرئيًا حول المصاب؟ لربما ظهر جليًا في الصور، يا إلهي! إنني في ورطة عصيبة.

وضع رأسه بين كفيه وقلبه يخفق بقوة فقال له سليمان: انتظر قليلًا.

أخرج سليمان هاتفه وهَاتَفَ أحد رجاله وأمره أن يذهب إلى المصورين الذين صوروا الحفل وأعطاه أسماءهم وعناوينهم ثم أخبره أن يأخذ كل الصور والأفلام ويتأكد أنه أخذها كلها ثم يذهب لمكان ناءٍ ويحرقهم فيه وبعد ذلك يدفن آثارهم.

أنهى سليمان المكالمة وقال لصاحب القصر: اهنأ بالًا فلا شيء سيعكر صفوك بعد الآن.

تنفس صاحب القصر الصعداء ونهض من مكانه ودخل القصر وقال لسليمان الذي دلف خلفه: سأذهب للنوم فلا يزعجني أحد حتى أستيقظ وحدي.

فقال سليمان: سأبلغ كل من في القصر، وسأذهب أنا أيضًا للنوم فقد تعبت من السفر.

استدار سليمان ليذهب إلى غرفته، لكنه تذكر أمرًا فأوقف صاحب القصر متسائلًا: لقد نسيت أمر الممرضتين! ماذا فعلتم بهما؟

أجابه صاحب القصر وقد زوى ما بين عينيه رعبًا: لم نفعل بهما شيئًا بل هما من فعلتا.

تساءل سليمان بدهشة: هما! كيف؟ ماذا فعلتا؟

رد صاحب القصر وقد ارتسمت ملامح الرعب على وجهه أكثر من ذي قبل: لقد أكلتا بعضهما البعض!

ارتعب سليمان وسأله برهبة: كيف؟ لا أفهم!

قال صاحب القصر وهو ينظر أمامه في الفراغ: أنت تعلم أننا حبسناهما في غرفة لها باب زجاجي بعد ما حدث لنساء وأطفال القرية ليراقب الأطباء ماذا سيحدث لهما نظرًا لأن آثار العدوى في كل من أصيب بها لم تكن واحدة، وفي مساء ذلك اليوم الذي سافرت فيه؛ تعملق رأسيهما وتمحور الفم فأصبح كفم السمكة الضخمة وتحورت الأسنان فأصبحت كأسنان الأسماك الشرسة، خشي الأطباء أن يفتحوا الباب ليُدخلوا لهما طعامًا من بشاعة منظريهما، فعندما شعرتا بالجوع بَدَءَا يأكلان أجزاءً من جسديهما؛ فأكلا الذراعين والقدمين، وفي صباح اليوم وجدنا أن أحدهما تأكل في الأخرى، وبعدما انتهت منها أحنت رأسها تحاول أكل نفسها فلم تستطع ثم بعد قليل ماتت ففتح الأطباء الباب وأخذاها ونظفا مكان الدم وأخذوا أي شيء اتسخ بالدم

ووضعوه معها في حوض ملأوه بالحمض حتى ذابت كُليًا ولم يتبق منها أي أثر.

انبهر سليمان بكل ما سمع وشعر بالرعب الشديد وقال له: إن هذه النبتة شيطانية! يجب أن نخبر القائد الأكبر بكل ما حدث حتى يقوم بإعدامها وعدم استعمالها مرة أخرى.

رد صاحب القصر وهو ما زال ينظر للفراغ نظرات خاوية: لقد أخبرته بكل شيء.

رد سليمان بترقب: وماذا كان رده؟

ضحك صاحب القصر ضحكة جانبية خفيفة وقال بسخرية: إنه يعشق المال ويحب كل ما يُسهل عليه تجارته، لقد قال: "لن أعدمها وسأظل أستخدمها حتى لو قضت عليكم جميعًا!" أتعلم يا سليمان؟ أنا لا أهاب الشرطة، بل أهاب عقابه هو، فأنت لا تعلم كم هو خطير! إنه أخطر من تلك النبتة ذاتها.

قطع حديثهما استئذان أحد الحرس، فأذن له صاحب القصر بالدخول، فتقدم نحوهما وقال لصاحب القصر: معذرة سيدي ولكن هناك أمر هام.

سأله صاحب القصر بتوجس: ما الخطب؟

قال الحارس: إن الشرطة بالخارج يريدون أن يأخذوك معهم.

نظر صاحب القصر لسليمان نظرات يملؤها الرعب فطمأنه سليمان وقال للحارس: أخبرهم أننا سنذهب خلفهم بسيارتنا.

نظر الحارس لصاحب القصر فأوما برأسه إيجابًا فخرج الحارس، ونظر صاحب القصر لسليمان مستفسرًا فقال سليمان: سنذهب، وسنعود للبيت الليلة، لا تقلق.

خرجا معًا وركبا سيارة سليمان وتوجها إلى قسم الشرطة خلف سيارة الشرطة. وصلا أخيرًا لمركز الشرطة فدلفا إليه وطلب الشرطي من صاحب القصر أن يدخل وحده للتحقيق معه دونما سليمان ولكن قبل

أن يدخلا كان المحامي قد وصل ودخل معه؛ فقد هاتفه سليمان وهو في الطريق طالبًا منه أن يلحق بهما.

دلفا إلى غرفة التحقيق وجلسا أمام رئيس المباحث الذي سأل صاحب القصر مباشرةً: اسمك وسنك وعنوانك؟

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل التاسع
# "تحقيق"

اسمي حمدي الدَبَّاغ، عمري خمسة وأربعون عامًا، عنواني هو البر الثاني من قرية الخراز التابعة لمركز النديم التابع لمحافظة الغربية.

تلك كانت إجابات صاحب القصر على سؤال رئيس المباحث الذي سأله مرة أخرى: ما مجال عملك؟

أجابه حمدي: لدي مصنع صغير خلف القصر مُصَرح به من وزارة الصحة نستخلص فيه المواد الخام المستخدمة في صناعة الأدوية وأقوم بعدها ببيعها لمصانع الأدوية.

سأله رئيس المباحث: هل أنت طبيب؟

أجابه حمدي: كلا، لكن يعمل لدي عدد كبير من أمهر الأطباء والكيميائيين الذين قَدِمُوا معي من أوكرانيا حيث كنت أعيش لفترة، والتي أستورد منها المواد

Hebatallah Rizk Essa

الخام كالأعشاب والورود وغيرها من المصادر ثم نستخلصها في مصنعي.

سأله رئيس المباحث متعجبًا: كيف تعمل في تلك المهنة وأنت لست بطبيب ولا حتى كيميائي؟!

أجابه حمدي: لقد درست الكيمياء في أوكرانيا ومعي شهادات تُثبت ذلك.

أرجع رئيس المباحث ظهره للوراء وقال وهو يبتسم بسخرية: شهادات! من السهل شراء الشهادات أو تزويرها، أليس كذلك؟

ازدرد حمدي ريقه وقال وهو يحاول أن يبدو ثابتًا: وكيف أقوم بشرائها وقد درست عند أول قدومي لأوكرانيا وكنت حينها فقيرًا لا أملك حتى مصاريف دراستي وكنت أعمل أكثر من عمل لأستطيع دفع مصاريف الدراسة؟!

قام رئيس المباحث من مكانه فجأة مما جعل حمدي يضطرب خاصةً عندما أتى رئيس المباحث من خلفه ووضع يده اليسرى على كتف حمدي وأخفض رأسه

بمحاذاة رأسه وهمس في أذنه متسائلًا بطريقة أخافته:
ومن أين لك بكل هذا يا حمدي؟

شعر حمدي بالتوتر ولكنه حاول أن يصطنع الثبات فقال: لقد عملت بكل جهدي حتى أكون ما أنا عليه الآن طيلة الخمسة عشر عامًا التي قضيتها مُغتربًا، فلِمَ العجب؟ ألَمْ ترَ شخصًا بدأ من الصفر من قبل؟!

اعتدل رئيس المباحث في وقفته والتف حول المكتب حتى استقر إلى كُرسيه وجلس عليه ثم قال: رأيت بالطبع، لكن لم يُثِرْ أحدهم اهتمامي مثلما فعلت أنت، أخبرني إذًا ما أنواع النباتات التي تستوردها؟

تكلم المحامي قائلًا: أعترض سيدي الرئيس، فهذه الأسئلة ليس لها علاقة بالقضية التي يتم التحقيق فيها الآن.

ابتسم رئيس المباحث ونظر للمحامي ثم قال: جيد، لنسأل إذًا عن القضية المطروحة أمامنا رُغم أن سؤالي هو في صُلب القضية! لكن لا نحب أن نغضبك سيادة المحامي.

نظر إلى حمدي وتابع حديثه قائلًا بحدة: هل تستورد مواد خام من ورود وأعشاب وغيرها لتستخلص منها المواد الخام للأدوية أم لتصنع منها أوبئة؟

ارتبك حمدي من السؤال ونظر لرئيس المباحث بملامح تعلوها الدهشة، وقبل أن يرد قال المحامي بحدة:
أعترض سيدي الرئيس؛ فهذا اتهام خطير لا دليل عليه ولا يحق لك أن تتهم مُوكلي به.

رد عليه رئيس المباحث قائلًا ببرود: الدليل موجود.

ارتبك كُلًا من حمدي والمحامي وسأله المحامي مُستفسرًا: أي دليل؟!

قال رئيس المباحث بهدوء: أين ذكاؤك يا حضرة المحامي؟ ما هو موضوع قضيتنا؟ أليس هو حادث وفاة مئة امرأة وسبعين طفلًا بعد تعملق أجسادهم وقت وجودهم في قصر الدباغ؟ أتظن أن هذا شيء عادي أم أنها ظاهرة غريبة؟ وحيث أن عددًا كبيرًا أصيب في آن واحد فماذا يُسمى ذلك؟ ألا يُسمى وباءً؟ وبما أن هذا الوباء أصابهم داخل قصر يقع خلفه مصنع لاستخلاص مواد خام لصناعة الأدوية من نباتات وأعشاب فمن

المؤكد أن أحد هذه المواد هو سبب الوباء أو هناك احتمال آخر.

صمت قليلًا فسأله المحامي بصوت خفيض: ما هو هذا الاحتمال؟

أجابه رئيس المباحث بصوت حاد خفيض: أو أنه قد تم تخليق نوع من الفيروسات الخطيرة في هذا المصنع بواسطة موكلك.

ارتبك حمدي واندهش المحامي فقال: ما هذا الذي تقول؟! من أين لك بتلك الاتهامات؟ أم أنها مجرد تكهنات؟

قال رئيس المباحث: سنعرف من نتائج التشريح أهذه مجرد تكهنات، أم أن ما قلته هو الحقيقة.

توجه بحديثه إلى كاتبه وقال له: اكتب عندك: أَمَرنا نحن؛ عادل ناجي، رئيس مباحث مركز شرطة النديم، بالإفراج عن المتهم حمدي الدباغ بضمان محل إقامته، مع منعه من السفر لحين انتهاء التحقيقات، وأُقفل المحضر في ساعته وتاريخه.

نظر إلى حمدي وقال له: تفضل بالذهاب فقد انتهت التحقيقات، ولكن لا تذهب إلى أي مكان خارج القرية حتى نستطيع إحضارك وقتما نريد.

ازدرد حمدي ريقه ثم قال: أمرك سيادة الرئيس.

نهض حمدي والمحامي وتوجها نحو الباب، بعدما خرجا قابلهما سليمان متسائلًا بلهفة: طمئناني، ما الذي حدث في التحقيق؟

أخبراه بما حدث معهما ثم طلب منه حمدي أن يعودا للمنزل بسرعة فخرجوا من القسم وركب المحامي سيارته بعد أن ودعهما وتوجه إلى مكتبه. ركب سليمان خلف المقود وركب حمدي إلى جواره وقال له وهو ينظر للفراغ نظرات خائفة: رئيس المباحث هذا لا أطمئن له، أخشى أنه لن يهنأ بالًا حتى يعرف كل شيء ويكشف أمرنا.

رد سليمان: لا تكن هشًا هكذا، فلا بد له أن يخيفك حتى يجعلك تعترف بسهولة، فلا تُلقي بالًا لحديثه، واطمئن لن يستطيع أن يكتشف شيئًا؛ فلا يوجد دليل واحد يُديننا، أما الجثث فلا أعتقد أن التشريح قد يُظهر شيئًا؛

Hebatallah Rizk Essa

فأطبائنا المهرة لم يستطيعوا اكتشاف السبب وراء ما يحدث وكيف يتفاعل النبات بعد انفجاره داخل الجسد، فهذا لم يحدث في بداية استخدامنا له، ولا أدري كيف يتمحور بهذه السرعة وبأشكال مختلفة بهذا الشكل المرعب؟ فكيف يستطيع أطباء الطب الشرعي اكتشاف السبب؟

رد حمدي: هذا ما يُخيفني ولم أستطع إقناع القائد الأكبر بإعدام هذا النبات المريب.

صمت الاثنان فلم يجدا ما يقولانه، وها هما قد وصلا القصر، دلفا إليه وصعد كل منهما إلى غرفته دون أن ينبس للآخر ببنت شفة.

دلف سليمان إلى غرفته وارتمى على سريره نائمًا على ظهره وبدأ التفكير يأخذ جولة في عقله ليُثنيه عن نومه؛ مفكرًا في ذلك النبات المبهم، متسائلًا هل تستطيع تقية معرفة السر وراءه أم لا؟ ما إن تذكرها حتى شغلت هي كل تفكيره، واستبد به القلق، ويريد أن يطمئن عليها، ولا يعرف كيف يفعل ذلك؟ نهض وجلس على سريره وسأل نفسه بدهشة: لِمَ أنت قلق عليها هكذا يا سليمان؟! أهي رقة انتابتك لما أصابها من كرب فشعرت بالشفقة عليها؟ أم أنك.... أحببتها!!

# الفصل العاشر

## "تفكير"

ما زال سليمان يفكر بتقية، فخاطب نفسه قائلًا: "حب! كيف ومتى؟ أنت لم تَرَهَا إلا منذ يومين فكيف تحبها؟! ربما هي شفقة عليها وَرِقَّة لحالها لا أكثر، أحمق! وهل من هو مثلك يعرف الحب؟ وحتى لو كنت تعرفه، ألَمْ تجد غير تلك الحمقاء لتحبها؟! أي حب هذا؟ أنا لم أحبها، لا تقل حُبًا مرة أخرى، هي مجرد وسيلة لأصل لهدفي لا أكثر، فلا ينبغي أن أقع فريسة لتلك الحماقة المسماة؛ الحب! هيا يا أحمق اخلد للنوم ولا تفكر بتلك الفتاة مجددًا."

استسلم سليمان للنوم فَغَطَّ في نوم عميق أيقظه منه فزعًا في منتصف الليل صوت صراخ قادم من غرفة الدباغ! فنهض من سريره بسرعة وهرول باتجاه الغرفة وفتح بابها وأشعل ضوءها فوجده جالسًا على سريره يرتعد خوفًا وهو يحتضن نفسه ويبكي، فاقترب منه وجلس أمامه على السرير ووضع يده على كتفه فانتفض، فسأله سليمان بلهفة: ماذا حدث؟ ما الذي أصابك؟ لمَ تبدو خائفًا هكذا؟

بكى حمدي وقال له: رأيتهم.

ثم ازداد بكاؤه فسأله سليمان بدهشة: من هم؟! وأين رأيتهم؟

نظر له وأسنانه تصطك ببعضها من شدة رُعْبَهُ وقال بتلعثم: رأيت كل من قتلتهم يهرولون خلفي وقد تعملقت أجسادهم وتبدلت رؤوسهم لرؤوس أسماك عملاقة فاغرة فاهها المليء بأسنان مرعبة وبطونهم مفتوحة، يريدون اللحاق بي، وكنت أعدو بسرعة أخشى أن يمسكوا بي لكنهم فعلوا في النهاية و...... و........ مزقوني بأسنانهم وأكلوني.

انفجر باكيًا فاحتضنه سليمان محاولًا طمأنته وهو يقول له: اهدأ، لا تقلق إنهم ماتوا ولن يستطيعوا إيذاءك، لا تخف أنا معك.

هدأ بكاؤه قليلًا وظل يُنهنه إلى أن غلبه النوم في حضن سليمان لكنه بعد مُضي وقت ليس بالكثير استيقظ فَزِعًا صارخًا طالبًا منهم أن يتركوه. حاول سليمان طمأنته فلم يستطع فَظَلا جالسين على السرير

لا يستطيعان النوم حتى طلع الفجر وغلبهما النوم فناما مكانهما.

في الصباح استيقظ سليمان فوجد أن الدباغ ما زال نائمًا فتركه وهبط إلى الأسفل وخرج من القصر على أمل أن يجد تقية في مكانها المعهود لكنه لم يجدها فشعر بالأسى وأنه بحاجة ماسة ليطمئن عليها، لكن كيف يفعل ذلك فهو يخشى أن يتجول في البلدة؛ فأهلها من المؤكد أنهم غاضبون من الدباغ وكل من يعمل معه، فعاد أدراجه إلى القصر وعزم على أن يزورها في المساء.

ما إن دلف إلى داخل القصر حتى وجد الدباغ أمامه يسأله وقد انتفخت عيناه من إثر البكاء: أين كنت يا سليمان؟ ولمَ تركتني وحدي؟

رد سليمان بخجل: آسف، لقد شعرت ببعض الضيق فخرجت في الهواء قليلًا، وقد تركتك لترتاح، هل أزعجك استيقاظي؟

أجابه بهدوء: كلا ليس أنت من أزعجني.

سأله سليمان: الكابوس مرة أخرى؟

رد حمدي: أجل، يبدو أن ما فعلته بهم لن يمر بسلام.

قال سليمان: ربما هو من جراء توترك إثر التحقيقات فقط.

رد حمدي والدموع في عينيه: ليس هذا فقط، لقد طاردتني أفكار كثيرة قبل النوم، ربما هي من تسببت في ذاك الكابوس.

سأله سليمان بدهشة: أيَّةَ أفكار؟!

قال حمدي وهو ينظر في الفراغ أمامه: تذكرت هؤلاء الذين قتلتهم لأجعل منهم ناقلات لتجارتنا.

قال سليمان: إن ما فعلته بهم ليس هينًا، لقد اطمأنوا لك لكنك خذلتهم.

نظر له حمدي متسائلًا: أبدلًا من أن تطمئنني تلومني؟!

قال سليمان بهدوء: لقد كنت على مقربة من أن أكون واحدًا منهم! أنسيت ذلك؟ فأنا لن أنسى ما حييت أنهم كانوا رفقائي طيلة مدة سفري، كنا معًا في نفس الطائرة، نقطن في نفس المكان، لدينا نفس الحلم، ويملؤنا نفس الألم، كيف أنسى أنهم ماتوا أمام عيني واحدًا تلو الآخر؟ كيف أنسى رؤيتي لرجالك يدخلون البضاعة في أفواههم وكادوا أن يفعلوا ذلك معي أنا أيضًا؟ بل كيف أنسى أنك جعلتني أعمل معك مجبرًا حتى لا أتحدث بما رأيت؟

قال حمدي: كلا يا سليمان، لا تقل هذا، لم أتركك خوفًا منك بل أردت أن تكون أحد رجالي؛ لأنني رأيت فيك نفسي وأنا بعمرك، رأيت فيك قوة وإصرارًا وشجاعة، بل شعرت أنك محل ثقة، فقد اطمأننت لك، وها أنت قد عملت معي وعرفت كم أحبك وكم تعلقت بك كأنك ولدي.

نظر له سليمان نظرات خاوية وقال: وأنا أيضًا أحبك وأعتبرك والدي لا سيدي، ولا تقلق لقد نسيت أنك الفاعل، لكن لا أستطيع نسيان مشهد رفقائي وهم





Hebatallah Rizk Essa

يموتون أمامي، اعذرني فالأمر ليس بيدي، فليس من السهل أن ترى أمام عينيك من كنت رفيقهم يتم التمثيل بجثثهم بهذا الشكل.

قال حمدي وهو يبكي: لا عليك، فكيف تتساهم أنت وأنا نفسي لم أنسهم ولا أستطيع نسيانهم؟ فكما قلت أنت؛ ما فعلته بهم كان شنيعًا، وكم تمنيت لو يعود بي الزمن وأغير ما فعلت.

قال سليمان: فلنغير الموضوع، فالأمر تذكره مزعج ومؤلم.

مر اليوم بطيئًا على سليمان؛ فقد كان ينتظر قدوم الليل بشغف ليذهب إلى تقية ليطمئن عليها فقد أضناه القلق. حل المساء أخيرًا، وعندما انتصف الليل خرج مسرعًا وتوجه نحو بيتها فدخل من باب المختبر الذي احتفظ بمفتاحه، لكنه عندما دلف إلى البيت لم يجدها، بحث في كل ركن لم تكن هناك! فشعر بالقلق ينهش قلبه وتساءل: أين ذهبت يا ترى؟

انتظر قليلًا لعلها تعود، لكن خابت آماله! فعاد أدراجه إلى القصر والتفكير فيها يملأ عقله، وقلقه عليها قد

بلغ منه مبلغًا عظيمًا جعله يعجز عن النوم فظل مستيقظًا حتى الصباح فعزم أن يذهب ليبحث عنها حتى لو كلفه الأمر حياته..

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الحادي عشر
# "جنازة"

تأهب سليمان للذهاب للبحث عن تقية؛ فنزل البلدة وعندما دخلها وجد أن جميع أهلها ينظرون له نظرات لا يفهمها. اقترب منه أحد الرجال محاولًا ضربه فأوقفه بعض الرجال ولكن بعد أن ضربه على رأسه بالفأس بالفعل فنزفت، فقام أحد الرجال بربط رأسه بالشال الخاص به، وأخذوهما أهل القرية إلى العمدة الذي سأل الرجل: لم ضربته؟

أجابه الرجل: لأنه من رجال الدباغ الذي كان سببًا في موت زوجتي وأطفالي.

رد العمدة: لست وحدك من مات أهله، وليس معنى ذلك أن نقتل كل رجال الدباغ، فحتى الآن لا يوجد دليل ضده، ولا ندري ما سبب وفاتهم؟

ثم توجه بنظره وحديثه إلى سليمان الذي كان الطبيب يضمد جرحه في ذلك الوقت وقال له: نعتذر لك عما بدر منه، وأرجوك أن تعذره؛ فما زال جرحه غائرًا.

Hebatallah Rizk Essa

رد سليمان بوهن: لا عليك ولا عليه، فهو معذور فيما فعل، لكن أنا مظلوم، فأنا حقًا من رجال الدباغ لكن لا دخل لي بالحفل وما صار فيه، هذا غير أنني قد سافرت إلى القاهرة لأقوم بفحص ذراعي عند الأطباء هناك وعندما عدت فوجئت بما حدث لنسائكم وأطفالكم فعزمت أن آتي إليكم لأقوم بواجب العزاء، لكن لم أكن أتوقع ما حدث لي.

كاد سليمان أن يسأل العمدة عن تقية لكنه آثر الصمت خوفًا عليها وعلى سمعتها وبداخله يتوسل إلى الله أن يطمئنه عليها.

دخل أحد الخفر قائلًا للعمدة: رئيس المباحث بالخارج يستأذن ليدخل.

هب العمدة واقفًا قائلًا له بحدة: لمَ تركته بالخارج؟ أدخله بسرعة.

خرج الخفير مسرعًا وبعدها بثوانٍ دخل رئيس المباحث وألقى السلام فأجلسه العمدة بجانبه بعد أن رحب به، فنظر رئيس المباحث لسليمان بدهشة وسأله: ما الذي أصابك يا هذا؟

Hebatallah Rizk Essa

رد سليمان: لقد كنت أتمشى وشردت قليلًا فتعثرت ووقعت على حجر فشج رأسي، وأتى بي هؤلاء الرجال إلى هنا لتتم معالجتي.

قال رئيس المباحث بعدم اكتراث: لا بأس عليك، انتبه لخطواتك بعد ذلك.

ثم وجه حديثه للعمدة قائلًا بجدية: لقد أتيت لأخبرك بأمر هام بخصوص التشريح.

نظر الجميع إليه باهتمام شديد خاصة سليمان، وهو يتابع حديثه قائلًا: لقد أظهرت نتائج التشريح أنه قد حدث خللًا مفاجئًا غير معروف سببه في جينات المتوفيين، ولا يوجد أي آثار تدل على تناولهم أو استنشاقهم لأي نوع من السموم؛ لذلك تم التحفظ على القضية وصدور أمر بالدفن، فلتأتِ أنت وذوي الضحايا لتتسلموهم.

ثم هب واقفًا وصافح العمدة قائلًا: أعلم أن الأمر غاية في الصعوبة؛ لذلك آثرت أن أخبرك به بنفسي، البقاء لله، عظم الله أجركم جميعًا، سأذهب الآن لأنتهي من الإجراءات؛ فقد جئت من المشفى إلى هنا مباشرة، فلم أستطع الانتظار حتى يصلني التقرير، فذهبت إلى هناك لأعرف النتائج وقررت إخباركم أولًا.

تأهب رئيس المباحث للرحيل ثم توقف كأنه تذكر شيئًا، فالتف ناحية العمدة وقال: يجب أن تذهبوا الآن وتنتهوا من الدفن سريعًا؛ فتلك الفتاة المسماة تقية تركت غرفتها في المشفى وهي لم تُشفى بعد ووقفت أمام المشرحة ترفض الرحيل، لقد أدخلتها لتراهم للمرة الأخيرة رأفة بحالها، وعليكم أن تسرعوا بالدفن لترأفوا بحالها أنتم أيضًا؛ فهي تكاد تموت من شدة البكاء، أسأل الله لكم ولها الصبر والسلوان، عن إذنكم.

خرج رئيس المباحث وتركهم جميعًا في حالة من اللاوعي وعدم الاستيعاب لما قيل؛ فقد حانت لحظة الوداع الأبدي. ما إن سمع سليمان اسمها حتى انتبه ووجل قلبه، وما إن سمع عن حالتها حتى كاد ينفطر قلبه وتمنى لو أن يطير حتى يصل إليها ليطمئنها ويواسيها، لكن كيف يفعلها في وسط هذا الحشد الكبير؟

أفاق الجميع من شرودهم وذهبوا لبيوتهم ليستعدوا لدفن أحبابهم. أمر العمدة أحد الخفر بالذهاب للمسجد ومناداة الجميع ليذهبوا للمشفى ويستعدوا لدفن موتاهم.

بعد وقت قصير كان الجميع أمام المشرحة التي اكتظت بالجثث ينتظرون خروج موتاهم وكان معهم سليمان

الذي قال للعمدة أنه لن يتركهم في هذا الظرف العصيب. كان يجول بعينيه يمنة ويسرة يبحث عنها، يريد أن يطمئن عليها؛ فقلبه قلق. بعد ساعتين من الانتظار، خرجت النعوش واحدًا تلو الآخر، فحملها الرجال وأدخلوها في السيارات المخصصة ثم توجهوا ناحية البلدة. رآها من بعيد تخرج من المغسلة؛ فقد طلبت أن تشارك في غسل أمها وتكفينها، وركبت في السيارة التي بها النعش الذي يحمل أمها وأخيها معًا، اضطرب لرؤيتها؛ فقد كانت حالتها يُرثى لها وإن تظاهرت بالثبات.

ما إن تحركت السيارات عائدة للبلدة ومعهم سليمان حتى شغل تفكيره طوال الطريق كيف اتسعت النعوش لهم وقد تعملقت أجسادهم؟ وصلوا البلدة، وحملوا النعوش على أكتافهم في مشهد جنائزي مهيب؛ فالعدد ليس بقليل، إنهم مئة وسبعين جثمانًا سيواريهم الثرى بعد قليل! أقيمت صلاة الجنازة في الساحة الكبرى القريبة من المقابر، وبعد الصلاة تركوا النعوش، وأمرهم العمدة أن يأخذوا كل أم وطفلها ويدفنوهم معًا في قبر واحد، ثم يعودون لدفن الباقي.

Hebatallah Rizk Essa

كان الدفن كالتالي: قسموا أنفسهم لمجموعات، كل مجموعة بها عشرين رجلًا يقومون بحمل أحد النعوش الخاص بامرأة ما ويحملون نعوش أطفالها أيضًا ويذهبون لدفنهم في مقبرتهم، وهكذا ما إن ينتهوا من

دفن البعض حتى يعودوا لدفن البقية، وقد استغرق أمر الدفن من العصر حتى بعد العشاء، وما إن انتهوا حتى وقفوا أمام المقابر وقاموا بالدعاء لهم جميعًا ثم عادوا لبيوتهم منهكة أجسادهم، ممزقة قلوبهم، مغرورقة بالدموع عيونهم، عادوا ليستريحوا من عناء اليوم، ولكن أنى لهم ذلك؟ فهل يرتاح من دفن جزءًا منه للتو؟ هل يغمض له جفن أو يسكن له حزن؟ هل تهدأ روحه وتلملم شتاتها؟ كلا ولو مضى ألف عام؛ فالفراق بالموت لا تداويه الأيام بل تزداد جروحه أكثر فأكثر.

عاد سليمان للقصر مغبرة ملابسه، حزين قلبه؛ فقد تمنى أن يذهب إليها ليواسيها، لكنها ليست وحدها؛ فقد رأى بعض فتيات القرية يأخذنها لبيتها وقررن المبيت معها وعدم تركها وحدها في تلك الليلة المريرة.

يا لها من ليلة! ويا له من شعور ذاك الذي نشعر به وقتها وقد دفنَّا أحبابنا للتو! شعور رهيب لا وصف له، ولا يعلم مرارته إلا من ذاقه، الفكرة التي تسيطر على العقل وقتها هي فكرة عدم التصديق أن من كان معك على ظهر الأرض منذ قليل قد أصبح الآن تحتها ولن تراه مجددًا، لن تتحدث معه وتسمع صوته، لن تحتضنه مرة أخرى، شعور صعب، مذاقه علقم، لا تصفه كلمات وتعجز الألسنة عن التعبير عنه، إنه شعور كأنك في غيبوبة تتمنى أن تفيق منها فتجد أنهم

لم يموتوا وأن كل ذلك كذبة، ولكن يا للأسف! إنها حقيقة مرة وليست كذبة كما ظننت.

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل الثاني عشر
# "صوت غامض"

عندما وصل سليمان إلى القصر، رآه حمدي فوجده؛ مُغبرًا، حزينًا، مرهقًا، فسأله بلهفة: سليمان! ما بك؟ لم أنت مُغَبَر هكذا؟ وأين كنت طوال هذه المدة؟ ما هذا؟! لمَ رأسك مُضَمَدْ؟! ماذا أصابك؟

رفع سليمان نظره من الأرض ونظر لحمدي بقلب يتميز من الغيظ، يود لو يقتله الآن جزاء ما فعله بهؤلاء الأبرياء، لكنه تمالك نفسه وقال له: لقد تعرقلت قدمي، فأصيب رأسي، وأنقذني أهل البلدة، فلما علمت أن اليوم موعد دفن موتاهم ذهبت معهم لأواسيهم؛ فقد أنقذوا حياتي رغم أننا السبب وراء نكبتهم تلك.

ازدرد حمدي ريقه وقال متصنعًا أنه لم يسمع الجملة الأخيرة: نعم علمت بذلك؛ لقد سمعت النداء، ولكن رئيس المباحث أتاني قبلها وأخبرني أنني الآن حر لا شيء ضدي، وذهبت خلفه أنهيت الإجراءات ثم عدت، فلقد عادت إلي روحي وتنفست الصعداء عندما أخبرني، ولكن لن نباشر عملنا الآن حتى لا نُثير الشبهات.

نظر له سليمان بنظرة متعجبة مستهجنة ثم قال: ماذا!! أهذا كل ما يشغلك؟! أين ذهب خوفك من الانتقام؟! عندما رأيت بكاءك البارحة توسمت فيك أنك ندمت على ما فعلت، والآن تفاجئني أنك ما زلت مُصرًا على ذاك العمل!!

قال له حمدي بنبرة متوسلة: سليمان، افهمني أرجوك، أنا مُجبر على هذا العمل ولا أستطيع تركه حتى لو كنت لا أرغب به؛ فأنا الآن بين شقي الرحى.

نظر له سليمان نظرات لائمة كأنه يقول "لا فائدة" ثم تركه وصعد إلى غرفته وارتمى على سريره محاولًا النوم وتجنب التفكير بأي شيء، فما لبث أن نام سريعًا من شدة إنهاكه.

في الصباح استيقظ سليمان فاغتسل وبدل ملابسه ونزل للأسفل، فوجد حمدي ينتظره ليتناولا إفطارهما، فجلس معه على مضض وتناول إفطاره بدون شهية ففرغ منه سريعًا ثم قال له وهو يتوجه نحو الباب ليخرج: أنا ذاهب إلى البلدة لأقدم واجب العزاء ولن أعود قبل أن ينتهوا منه.

قال ذلك وهو يمشي باتجاه الباب فأوقفه صوت حمدي قائلًا: انتظر يا سليمان فأنا قادم معك.

اندهش سليمان وأدار ظهره إليه بوجه متعجب متسائل فقال له: لماذا؟! ما هذا التغير المفاجئ؟!

رد حمدي: يجب أن أمحو من رؤوسهم آثار الشك عني.

ضحك سليمان بسخرية ثم قال: تمحو آثار الشك! أكاد أجزم لك أن رؤوسهم ستمتلئ بمقولة "يقتل القتيل ثم يمشي في جنازته".

لم يرد حمدي وتوجه نحو الباب فخرج منه ثم ركب السيارة منتظرًا سليمان الذي لحق به وأدار المقود ثم توجه إلى ساحة البلدة التي أقيمت بها صلاة الجنازة بالأمس حيث أقيم بها اليوم صوان عزاء كبير ليتلقوا فيه العزاء على ذويهم.

ما إن وصلا حتى وقف كل من في الصوان مندهشًا لرؤية الدباغ الذي سلم على العمدة وكبار البلدة الذين كانوا يستقبلون المُعزيين في مقدمة الصوان وقال

للجميع بصوت عالٍ: أحسن الله عزاءكم جميعًا في ذويكم.

ثم عاد ووقف إلى جوار العمدة يتقبل معهم واجب العزاء مما أدهش سليمان وأدهش باقي أهل البلدة الذين بدا الغضب واضحًا على ملامحهم لكن نظرة العمدة لهم جعلتهم يكظمون غيظهم ويجلسون مرة أخرى.

ظل سليمان واقفًا مكانه مدهوشًا للحظات قبل أن يدخل الصوان ويسلم على الجميع ويجلس في ركن بعيد يفكر في صنيع الدباغ الغريب هذا!

حقًا إنه لشيء عُجاب؛ القاتل يتقبل واجب العزاء فيمن قتلهم بمشاعر باردة كأنه لم يفعل شيئًا! ذوي الضحايا يعرفون من قتل ذويهم ولا يستطيعون أن يفعلوا له شيئًا! بل الأعجب أن ذوي الضحايا هم المُعزيين وهم من يتم تعزيتهم! يا له من يوم مليء بالغرائب!

أتى المأمور ورئيس المباحث وبعض من كبار المدينة ليقوموا بواجب العزاء. عندما رأى الضابط عادل رئيس المباحث الدباغ واقفًا في أول الصف تعجب ولكنه لم يُبدِ عجبه كعادته، لكنه ود لو يقول للدباغ: "كيف تكون هنا وأنت من قتلهم؟!" فهو عنده شعور

يقيني أن وراء الدباغ سر غامض مريب، ويود لو يكتشفه.

بعد صلاة العشاء بنحو الساعة انتهى العزاء وتوجه الكل لبيته. ركب سليمان والدباغ سيارتهما وقفلا عائدين للقصر الأبيض الذي يشبه لونه لون الكفن؛ فهو رغم بهرجته المبهرة إلا أنه كالميت لا حياة فيه، بارد كَبِرُودْ ثلاجة الموتى، مُوحش كوحشة القبر، غامض ومريب كالمقابر المهجورة.

ما إن انتهى سليمان من ركن السيارة حتى دخل القصر وصعد سلمه على عجل ودخل غرفته وارتمى على سريره وأخلد للنوم. تعجب الدباغ من صنيع سليمان وعلل ذلك لنفسه بأنه ربما مرهق نفسيًا بسبب الأحداث الأخيرة وسيعود مرة أخرى لعمله، ثم صعد لغرفته هو الآخر وأخلد للنوم.

في الصباح استيقظ سليمان مُبكرًا جدًا وذهب للعَدْوِ حول القصر ثم وقف قُبالة المكان المفضل لتقية ونظر إليه بحزن وشرود للحظات ثم عاد ليكمل عدوه لعله يُخرج بعض غيظه مع أنفاسه المتسارعة. بعد وقت قصير انتهى من عدوه فقفل عائدًا للقصر، وما إن دلفه حتى نادى الخادم وطلب منه أن يُحْضر الإفطار إلى

غرفته ريثما يغتسل ثم صعد إلى غرفته ولبث فيها إلى أن انتصف الليل ونام الدباغ وكل من بالقصر فهبط إلى الأسفل بخفة ثم تسلل للخارج متوجهًا نحو بيت تقية.

وصل إلى بيتها فحام حوله أولًا ليتأكد من عدم وجود أصوات بداخله، وعندما اطمأن أنها وحدها فتح باب المختبر ودخل منه فلم يجدها فيه فطرق بابه المجاور لباب غرفتها فاستيقظت فَزِعة ونهضت من سريرها وسارت بحذر حتى خرجت من غرفتها فوقفت خلف باب المختبر وتساءلت بترقب: من؟!

جاءها صوت سليمان ملهوفًا: أنا سليمان، افتحي يا تقية، أود أن أطمئن عليكِ.

فتحت له الباب بلهفة بعد أن سمعت صوته ولم تنتبه لكلماته! وما إن فتحته حتى نظرت له وعبراتها تتساقط من عينيها، ونظر لها نظرات تملؤها الرقة لحالها، يكاد يبكي، وقلبيهما تتسارع نبضاتهما حتى أنهما يكادان يسمعان أصواتهما.

تأهب سليمان ليسألها عن حالها ويُعزيها ولكن أوقفه صوت قادم من خلفه يقول لهما: ما هذا الذي أرى؟ أعاشقان أنتما؟!

## الفصل الثالث عشر

## "كشف السر"

نظر كلًا من سليمان وتقية لبعضهما وقد اتسعت أعينهما من الدهشة عندما سمعا تلك الكلمات والتي أربكتهما فلم يستطيعا الرد.

وضع صاحب الصوت يده اليمنى على كتف سليمان الأيسر وقال: ما لكما قد ارتبكتما بهذا الشكل؟! تحدثا وأخبراني ما وراءكما؟!

التف سليمان للخلف وقد تحولت ملامحه للغضب، وأمسك بيد هذا الغريب فنزعها عن كتفه، وأمسك بتلابيبه وسحبه منها للداخل، فتراجعت تقية للوراء خائفة ووضعت يديها على فمها تكتم صراخها. كاد سليمان أن يضرب صاحب الصوت لكنه تراجع عندما ظهرت ملامحه واضحة جلية على ضوء الصالة، فقال هو وتقية في آن واحد بصوت مصدوم مليء بالدهشة: الضابط عادل!!

نظر سليمان وتقية لبعضهما البعض وهما غير مُصدقين لِما تراه أعينهما! فقطع دهشتهما بقوله وهو يرتب ثيابه قبل أن ينهض ويجلس على الأريكة واضعًا

قدمه اليسرى على اليمنى وقد أرجع ظهره للوراء ووضع يده اليمنى على مسند الأريكة، وأشار لهما بيده اليسرى ليجلسا فجلسا أمامه على الأريكة المقابلة له، فوضع يده على قدمه ثم تحدث قائلًا: أرى أن الدهشة تعتري وجهيكما، لكما كل الحق في ذلك؛ فمن كان يتوقع أن الزائر هو أنا! وربما تتساءلان عن سبب مجيئي الآن في هذا التوقيت بالذات؟ هل كنت أراقبكما؟! في الحقيقة.... نعم! منذ الأمس وأنا أشك بكما أنتما الاثنان، ولكن شكي بكما ليس شبيهًا بشكي في الدباغ فأنا أشعر أن وراءكما سرًا غامضًا، وأيضًا لا أدري لمَ أشعر أنه يخص الدباغ؟

قاطعه سليمان متسائلًا: لحظة من فضلك! ما الذي جعلك تشك بنا؟ فقد قلت أنك تراقبنا منذ الأمس، ولكننا لم نلتقِ إلا مرتين تقريبًا فما الذي جعلك تشك بنا بهذه السرعة؟! ولماذا نحن بالذات؟

رد عادل عليه وهو يبتسم: لأنكما أنتما من كشفتما نفسيكما دون جهد مني.

نظرت تقية لسليمان نظرات متسائلة فهز لها رأسه بمعنى أنه لم يفهم، فسألاه في آن واحد: كيف؟!

رد عليهما عادل قائلًا: أتتذكرين يا تقية عندما أدخلتك إلى المشرحة لتلقي نظرة الوداع على أمك وأخيكِ؟ لا تبكي عزيزتي فليس هذا وقتًا مناسبًا للحزن، وقتها عندما دخلتِ سمعتك تهمسين: "كيف رجعتما لحجمكما الطبيعي؟ هل انتهى أثر النبتة؟!" وسألتيني: "هل الكل عاد لطبيعته؟" فأخبرتك أنهم بعد أن دخلوا المشرحة انكمشت أجسادهم، فسمعتك تهمسين: "هذا يعني أن النبتة تضعف بالبرودة!" ثم نظرتِ إليهما وأخذتِ في البكاء ووسط بكاءك ذكرتِ كلامًا غريبًا: "كنت على وشك النجاح يا أمي، لمَ تعجلتما الذهاب؟ كنت أحاول إيجاد حل." وقتها شعرت أنكِ تخفين سرًا وودت لو عرفت ما هو، لكن لم يكن ذاك الوقت مناسبًا ولا المكان، فقررت أن أسألك في وقت لاحق، فكرت أن أستدعيكِ إلى مقر الشرطة، لم أكن أتوقع أن أزورك هنا، لكنه هو من دفعني لذلك.

وأشار إلى سليمان ثم تابع وهو ينظر إليه: عندما رأيتك وأنت مصاب في بيت العمدة لم أكن أعرفك، ولكنك لا يمكن أن تكون من أهل القرية؛ فملابسك تشير إلى أنك ثري، وبنظرة ضابط شعرت أنك تخفي سرًا أنت الآخر وخاصة عندما ذكرتُ اسمها؛ ذلك الأمر الذي شد انتباهك! فسألت أحد الخفر عندما تركتكم عن من تكون؟ فأخبرني أنك اليد اليمنى للدباغ مما جعل الشك يزداد في رأسي، وعندما علمت أنك لم تترك أهل القرية ذاك اليوم وفوجئت بك في العزاء شعرت أنك

شخص غامض وأن لك علاقة بتقية، فطلبت من أحد رجالي أن يراقبك بالأمس، لكنك لم تخرج، خرجت في الصباح فقط، لكن مكثت طيلة اليوم في القصر، فقررت أن أراقبك أنا الليلة وعندما خرجت سِرتُ خلفك حتى دخلت إلى هنا! فصار شكي يقينًا وخاصة أنك دخلت بواسطة المفتاح مما يعني أنك جئت إلى هنا من قبل! والمختبر أيضًا جعلني أشك أكثر بكما، والآن أخبراني يا سليمان أنت وتقية، أنتما السبب فيما حدث لأهل القرية، أليس كذلك؟ هل اخترعتما فيروسًا ما؟ أم أنه دواء ما قمتما بصناعته فتحول إلى وباء؟ وهل قمتما بذلك عن عمد؟ أم أنه عن طريق الخطأ بغير إرادة منكما؟

قال سليمان: ما هذا الهراء...

قاطعته تقية: لحظة يا غامض! ما هذا الذي قاله؟! من سليمان؟ أأنت اسمك سليمان؟

قال عادل: أمعقول أنكِ لا تعرفين اسمه؟! وكيف فتحتِ له الباب عندما قال أنا سليمان؟ لقد عرفت اسمه حينها، فكيف لم تكوني تعرفينه وفتحتِ له دون تردد أو خوف؟

ردت تقية بحدة: بالطبع لم أكن أعرفه؛ فقد رفض أن يخبرني به وطلب أن أناديه بغامض! لِمَ لَمْ تخبرني به يا غامض؟

هبَّ غامض واقفًا وقال لها بنفاذ صبر: لن تتغيري! تتركين الأمر الهام كعادتك وتسألين عن أشياء تافهة! ما فائدة اسمي الآن؟ ثم ها أنتِ قد عرفتينه أخيرًا، هل ستتساءلين عنه كثيرًا أم ننظر فيما قاله هذا الرجل واتهامه لنا؟! أرجوكِ اصمتي قليلًا واتركيني أتحدث، لا أدري من ذاك الأحمق الذي نَعَتَكِ بالذكية؟ لم أرَ أي علامات ذكاء حتى الآن.

هبت واقفة هي الأخرى وصاحت بحنق وهي تشير بإصبعها السبابة إلى وجهه: بل أنت الأحمق! أنا أذكى منك، ولولا ذكائي هذا ما استعنت بي أبدًا، هل تُنكر ذلك؟

قال وهو ينظر لها بحدة: لقد استعنت بكِ لأن الأمر فاق احتمالي وكنت أريد أن يشاركني فيه أحد، ولولا أنكِ رأيتِ بعينيك ما يحدث لما فكرت أن أستعين بحمقاء مثلك.

كاد الشجار أن يحتدم لولا أن وقف عادل واقترب منهما وقال لهما ببرود: اجلسا وكُفا عن الشجار ولا تتصرفا كالأطفال، وأخبراني بما حدث منذ أن التقيتما لأول مرة وحتى هذه اللحظة وإلا سأضطر لأخذكما إلى مقر الشرطة ويكون الاستجواب رسميًا.

هدأ الاثنان وجلسا ثم رويا له كل ما حدث معهما منذ أن التقيا وعن تلك النبتة الغريبة. كلما حكيا أكثر اندهش عادل أكثر؛ فالأمر غاية في الغرابة. عندما انتهيا من حديثهما سأل عادل سليمان: لِمَ تريد أن تكشف أمر الدباغ رغم كونك ذراعه الأيمن؟

رد سليمان: سأروي لكما من البداية كيف عملت معه؟ ولِمَ أكرهه كل هذا الكره؟ فالأمر بدأ عندما....

# الفصل الرابع عشر

## "علكة!"

منذ تسع سنوات تخرجت من الجامعة في كلية العلوم قسم البيولوجيا. كنت شابًا مفعمًا بالأمل والحيوية، مقبلًا على الحياة بكل شوق، أرسم أحلامًا عدة أمامي وبحثت عن عمل في كل مكان سعيًا لتحقيقها فانتهى بي المطاف بأن أعمل في إحدى الصيدليات الكبرى في مدينة بعيدة عن الحارة التي أقطن بها في مصر القديمة؛ فقد كنت فقيرًا معدمًا، ضاع حلمي بأن أُصبح معيدًا في الكلية بسبب الواسطة بالطبع، كما أنني كلما بحثت عن عمل في تخصصي اشترطوا سنوات من الخبرة، ومن أين سآتي بها وأنا ما زلت خريجًا غريرًا؟! طيلة أربع سنوات وأنا أعمل في الصيدلية ليلًا نهارًا حتى أستطيع أن أجمع مالًا أستطيع به أن أسافر لأي بلد عربي فلربما استطعت أن أعمل هناك في مجالي أو على الأقل أعمل في مجال آخر يُدِرُ علي دخلًا جيدًا أستطيع به أن أؤسس بيتًا وأسرة. كنت أتمنى أن أسافر وأعوض والديَّ عن سنوات شقائهما لأجلي، لكن للأسف ماتت أمي بعد تخرجي بعامين، وما لبث أبي أن لحق بها قبل أن تمر ذكرى وفاتها الأولى فلم يتحمل فراقها وقتله حزنه عليها. بعد وفاة أمي حزنت بشدة فقد كنت أحبها حبًا لا حدود له، كانت مني بمثابة الروح للجسد، فقدت روحي بموتها، وبعد وفاة

أبي فقدت قلبي وأصبحت أحيا بجسد فارغ، خاوٍ من الروح والقلب والمشاعر أيضًا. لمدة شهرين وأنا أحبس نفسي في بيتي، لا أريد الخروج ولا رؤية أي شخص؛ فرؤيتهم تُزيد عذابي، كيف لا وهم عندما يرونني يتأملون ملامحي ويقولون: "كأننا نرى أباك إذ رأيناك؛ فأنت نسخة منه، تُشبهه بشكل لا يصدق! كأنه قد تم استنساخك منه!" كانوا يظنون أن تلك الجملة ستربط على قلبي وتجعلني أبتهج وأصبر لكن لا يعلمون وقعها على نفسي، كانت تلك الجملة تنزل على سمعي كالصاعقة كأنهم قد غرزوا خنجرًا مسمومًا في قلبي ثم انتزعوه منه فتركوه ينزف إلى أن أغرق الأرض بدمائه، تلك الجملة جعلتني أتمنى لو لم أكن أُشبهه قط مما جعلتني أحاول أن أخرج من قوقعتي وأعمل جاهدًا لأجمع مالًا أستطيع به أن أترك البلد للأبد ولا ألتقي بمن يعرفوني مرة أخرى. بحثت كثيرًا وسألت في كل مكان عَمَّن يستطيع أن يساعدني حتى قابلته صدفة ذات يوم؛ إنه مرتضى رافع، زميل الجامعة، الصديق الأقرب لقلبي والذي فرقتنا مشاغل الحياة وها نحن نلتقي بعد أربع سنوات من تخرجنا. كان لقاءً حارًا مفعمًا بالشوق والذكريات، تلاقى قلبانا عندما تلاقت أذرعنا ونحن نتعانق بكل شوق والبكاء هو المتحدث الوحيد. كم كان لقاءً مبهجًا لقلبي المكلوم! لم نترك بعضنا ذلك اليوم، خرجنا معًا وتحدثنا كثيرًا نسترجع الذكريات ويحكي كل منا للآخر ما مر به خلال سنوات الفراق الأربع. عندما علم مرتضى

برغبتي في السفر قال لي: "أبشر يا صديقي! سأساعدك."

قلت له بلهفة: كيف؟ أرجوك أخبرني.

قال لي وهو غير مصدق أنني متلهف للسفر إلى هذا الحد: "لقد دلني زميل لي في العمل على شخص يقوم بمساعدة من يرغبون بالسفر مِثْلنا أنا وأنت وسيقوم بتسفيرنا إلى أوكرانيا."

سألته بدهشة: مثلنا! هل تريد أن تسافر أنت أيضًا؟!

قال لي بفرحة شديدة: "نعم يا صديقي؛ فلقد أخبرتك أنني خطبت الفتاة التي أحببتها في صمت منذ كنت صغيرًا، وأريد أن نجتمع سريعًا في الحلال فلا بد أن أسافر، وكم زادت فرحتي برغبتك أنت أيضًا في ذلك! فهذا يعني أننا سنجتمع مجددًا ونكون معًا في كل لحظة كأيام الجامعة؛ فوجودك معي سيهون علي أيام الغربة والشقاء."

سألته بخوف: لكنني أخشى أن يكون هذا الشخص نصابًا ونغرق في البحر ككل من حاول الهجرة غير الشرعية.

ضحك ضحكة قصيرة وقال لي: "يا لك من غِرٍ! ومن قال لك أننا سنسافر بحرًا بطريقة غير شرعية؟!"

تعجبت من كلامه وسألته: كيف سنسافر إذًا؟!

قال: "بالطائرة يا صديقي، بالطائرة وبطريقة شرعية تمامًا."

قلت له بغباء: كيف ذلك؟ أنا لا أستطيع فهمك!

تعَالَتْ ضحكاته وهو يقول: "الطالب المجتهد 'سليمان سالم'، أذكى فتى بين أقرانه، لا يفهم كلامي الواضح! هل بقاؤك وسط علب الأدوية جعلك غبيًا لهذا الحد؟!"

قلت له بجدية: أرجوك لا تسخر مني فأنا حقًا لا أفهم.

قال وقد كف عن الضحك وتحدث بجدية: "أنا أمزح معك، لا عليك يا صديقي سأشرح لك؛ ذاك الرجل سيأخذ من كل واحدٍ منا مبلغًا قدره عشرة آلاف جنيه، وسنستخرج باسبورًا بشكل قانوني تمامًا، وسيتكفل هو بأمور الفيزا وحجز تذاكر الطيران، ثم عندما نصل إلى أوكرانيا سنعمل هناك في مصنع لشخص يسمى الدباغ، يقوم باستخلاص المواد الخام اللازمة لصناعة الأدوية من النباتات والحيوانات، ذاك الرجل يقوم بمساعدة من يريد السفر ليعمل في تخصصه هناك مثلنا، فلنقل أنه وكيل الدباغ هنا حيث يقوم بتوريد عاملين له."

قلت له بوجل: وهل هذا الدباغ يعمل بشكل قانوني أم أنه..

قاطع حديثي قائلًا: "المهم أن نسافر وسنجرب، إن وجدنا العمل جيدًا نبقى به وإن وجدناه مريبًا نتركه ونبحث عن عمل في مكان آخر؛ فالفيزا مفتوحة."

قلت له: حسنًا أنا موافق، لكن من أين لي بذلك المبلغ؟ فليس معي إلا خمسة آلاف هم كل ما استطعت جمعه طوال الأربع سنوات الماضية.

قال لي: "لو كان معي لساعدتك لكن الله وحده يعلم كيف جمعت هذا المبلغ."

سكت قليلًا ثم تابع: انتظر! أليس لديك شقة تمليك؟ لم لا تبيعها؟ فلن تحتاجها بعد الآن طالما تود ألا تعود مجددًا."

قلت له: إنها قديمة جدًا، لا أعتقد أنها قد يشتريها أحد، لكن سأحاول.

انتهى لقاؤنا ذلك اليوم مع وعد باللقاء مرة أخرى عندما أقوم بتجميع باقي المبلغ، وقد وعدته أن أذهب في الصباح لاستخراج الباسبور الخاص بي. في اليوم التالي بعدما أنهيت مشوار استخراج الباسبور عدت إلى بيتي، وقبل أن أصعد إلى شقتي عرجت على القهوة وأخبرت صاحبها برغبتي في بيع الشقة فوعدني أن يجد لها زبونًا في أسرع وقت وقد صَدق؛ فبعد يومين أخبرني أنه وجد مشتريًا وسيدفع مبلغًا قدره سبعة آلاف جنيه، فوافقت وتم البيع. في خلال شهر كنت قد انتهيت من كل إجراءات السفر وركبت الطيارة أنا ومرتضى وعشرة شباب آخرين؛ نشترك معًا في حلم واحد، وهدف واحد، ورحلة واحدة إلى نفس البلد لنعمل عند نفس الشخص.

وصلنا أخيرًا، فاستقبلنا في المطار أحد رجال الدباغ وأخذنا إلى بيت صغير يقع في محيط المصنع، وأعطى لصديقي علبة حلوى صغيرة طالبًا منه أن نتناولها؛ فهي تحية لنا من الدباغ، وأخبره أن نستريح اليوم وفي الغد سيأتي ليأخذنا إلى المصنع ليسند إلينا وظائفنا، ودّعناه ثم ذهب. أسرع مرتضى إلى العلبة ليفتحها فتفاجأ بما فيها وقال بدهشة: "أهذه هي الحلوى؟! إنها علكة أو ربما حبيبات نعناع!"

أغلق العلبة وقال: "سنتناولها بعد العشاء فأنا جائع." وذهب إلى الطاولة ليفتح لفافات الطعام التي أحضرها لنا ذلك الشخص ووضع علبة العلكة هناك وبدأ بالأكل هو وباقي الشباب وطلب مني أن أنضم إليهم فأخبرته أنني متعب بشدة سأنام أولًا وبعد أن أستريح سأتناول طعامي. تركتهم وذهبت إلى غرفة من الغرف وارتميت على السرير بملابسي وحذائي فنمت سريعًا. بعد نحو الساعة استيقظت على أصوات انفجار فنهضت من سريري مهرولًا للخارج خوفًا من أن يكون حريقًا قد التهم البيت، فخرجت من الغرفة فوجدت الشباب الأحد عشر ساقطين على الأرض ولا يوجد أية آثار لأي حريق أو حتى رائحة غاز! فهرولت إلى مرتضى فوجدته ما زال يتنفس، فقال لي بوهن شديد: "لا تتناول العلكة!" ثم سمعت صوت انفجار مجددًا لكنه كان قادمًا من بطن مرتضى الذي قد... مات.

سكت سليمان قليلًا يبكي بحرقة ثم تابع: هرولت إلى باقي الشباب لعلي أجد أحدهم ما زال على قيد الحياة لكنهم جميعًا كانوا قد ماتوا فقلبتهم واحدًا واحدًا على ظهورهم فإذا بأجسادهم ما زالت سليمة! فمن أين أتى صوت الانفجار إذًا؟! تذكرت تحذير مرتضى لي بألا أتناول العلكة فوجدت العلبة بجواره وقد ظل بها حبة واحدة فقذفتها بعيدًا عني بأقصى قوتي وأنا مغتاظ منها فسقطت في حوض سمك صغير على طاولة بجوار الحائط، وبعد ثوانٍ معدودات سمعت صوت انفجار مرة أخرى فنظرت أمامي فوجدت الحوض ينفجر! اندهشت واضطرب قلبي، وعلمت أن تلك العلكة هي من قتلتهم، وخمنت أنها ربما تكون قنابل صغيرة مصنعة، ولكن لماذا يفعلون بنا ذلك ونحن لا نعرفهم ولم نؤذهم في شيء؟! كاد البكاء والتفكير يقتلاني، والأسئلة تنهش رأسي، ولا أدري ماذا أفعل؟ ولكن لم يَطُل تفكيري هذا؛ فقد سمعت أصوات أقدام تقترب حتى أصبحت أمام باب البيت، فتصنعت الموت مثل أصدقائي خشية أن يقتلوني أنا الآخر.

فُتح باب البيت ودخل منه ذاك الرجل الذي أعطانا العلكة ومن خلفه رجال يحملون معهم... محفات!!

# الفصل الخامس عشر
# "بشاعة"

مات صديقي وأصبحت وحيدًا مرة أخرى، مات وقد كان على وشك أن يجتمع أخيرًا بمن ظل يتمناها طوال حياته، مات وتركني وحدي بعدما ابتهجت باجتماعنا مرة أخرى وأننا سنعيش معًا، كم كنت أتوق ليومنا هذا وأفكر في اللحظات التي سنقضيها معًا! كنت أتخيل ابتساماتنا معًا، والخروج سويًا، وتناول الطعام والمزاح، تخيلت ليلة زفافه وفرحتي الشديدة له، كل هذا تخيلته بشوق وتلهف لتحقيقه ولكن انهدمت كل أحلامي في لحظة، لم يحقق من أحلامه تلك شيئًا ومات بعد لحظات من وصوله ذاك البلد الملعون! ليتني لم أُلقِ بتلك الحبة، يا ليتني تناولتها أنا أيضًا ولحقت به وكنا اجتمعنا في الآخرة طالما لم يكتب لنا الاجتماع في الدنيا، لكن وقد علمت أنها السبب ما كان لي أن أَلقى ربي كافرًا. رأيت صديقي يموت بين يدي ولم أستطع أن أنقذه من الموت! ولكن أنى لي أن أنقذه وقد ابتلع حبة علكة ما تكاد تصل للجوف حتى تفجره وتجعل منه صندوقًا فارغًا جافًا، يظل جافًا لثلاثة أيام قبل أن يبدأ في التعفن؟! هذا ما أدركته بعد أن عملت معهم وعرفت كل شيء عن نبتة القنبلة تلك.

قاطعته تقية متسائلة بدهشة: كيف عملت معهم وقد قتلوا أعز أصدقائك؟! بل كيف لم يقتلوك بعد أن عرفت سرهم؟! وكيف ائتمنوك لتعمل معهم ولم يخشوا أن تنتقم؟!

نظر لها سليمان والدموع تنهمر من عينيه، فَرَقَتْ لحاله، فتابع وصوته يخرج ممزوجًا بما يشعر به من ألم: بعد أن دخلوا وفي أيديهم يحملون المحفات، حملونا عليها ثم اتجهوا بنا للخارج حيث كانت تقف سيارة تشبه تلك التي تستخدم في المصانع لنقل البضائع؛ فهي سيارة بصندوق خلفي كبير له بابان مفتوحان على مصراعيهما أمام دَرَجَ البيت مباشرة. كانوا يضعون المحفة في مدخل السيارة ويحملونا بأيديهم ويلقون بنا جوار بعضنا على أرضية السيارة كأننا مخلفات لا بشر؛ فليس معنى أنهم جثث أن يعاملوهم بتلك القسوة! ولكن أي قسوة أفظع مما فعلوه؟! هل هناك أقسى وأبشع من طريقة قتلهم لأصدقائي بدون سبب أو جرم فعلوه؟! كنت آخر من ألقوا به في السيارة، شعور قاس ومؤلم أن أكون في صندوق مع إحدى عشرة جثة، كنت معهم منذ قليل في طائرة نضحك ونمرح، أما الآن فقد أفضَّت أرواحهم إلى خالقها وبقيت أنا حيًا كالميت؛ فليسوا هم فقط من فقدوا أرواحهم، فقد أصبحت أنا أيضًا خاويًا من الروح. تحركت السيارة مسافة طويلة جدًا لا أدري كم

تكون ولا لماذا ينقلونا بعيدًا ونحن كنا داخل مصنعهم؟ أيعقل أنهم سيلقون بنا في البحر؟! لم يسيطر على تفكيري إلا هذه الفكرة المرعبة؛ ففي ذلك الحين لن أنجو! فأنا لم أكن أعرف السباحة وقتها، فكيف أغوص إذًا في ذلك البحر العميق؟! انحرفت السيارة يسارًا وبعد دقائق توقفت وفُتح بابها وأخرجوا المحفات التي كانوا قد وضعوها في السيارة بجوارنا وحملونا عليها وأدخلونا مبنى كبير نسبيًا؛ يشبه ذلك الذي يوجد في مصنع الدباغ هنا الذي رأته تقية، ولكنه من الداخل كان به أَسِرَة أكثر في منتصفه، وتوابيت في جانبه الأيمن مصطفة فوق بعضها، وفي جانبه الأيسر يوجد صناديق ضخمة مغلقة. وضعوا كل واحد منا على سرير ثم دخل عدد من الأطباء والمساعدين لهم والتفوا حول الأسرة ومعهم أدوات الجراحة بالطبع، ولكنهم لم يبدأوا العمل بعد؛ فقد انتظروا قليلًا حتى أتى رجل يرتدي بذلة أنيقة ويضع يديه في جيوب البذلة ويحيط به خمسة من الرجال الأقوياء، فتقدم نحونا حتى وقف قبالتنا ونظر إلينا جميعًا ثم قال: اثنتا عشرة جثة! جيد، فالبضاعة كثيرة، هيا قوموا بالعمل سريعًا؛ فقد بعثنا لذويهم خبر موتهم وسينتظرونهم في المطار؛ فالطائرة ستقلع غدًا بعد الظهر، أمامكم ساعتين حتى تنتهوا من تعبئتهم ثم كفنوهم وضَعُوهم في التوابيت حتى نبعثهم للمطار قبل موعد إقلاع الطائرة بساعتين.

ثم توجه إلى مساعده الذي استقبلنا في المطار وسأله: هل أخبرت عملاءنا بمصر ليستعدوا؟

أجابه: نعم سيدي، لقد أخبرتهم وسينتظرون خارج المطار يراقبون تحرك ذوي الجثث بالتوابيت وسيتبعونهم حتى يعرفوا مكان الدفن لكل جثة ثم يستخرجونها من قبرها وينقلونها إلى مقرهم، وكالعادة سيأخذون منها البضاعة ثم يعيدونها إلى قبرها قبل الصباح.

سمعت كلامهم هذا فاستشطت غضبًا وكدت أنفجر من الغيظ ولكن لم أستطع أن أنبس ببنت شفة حتى لا يُكتشف أمري. لكن فجأة اقترب مني أحد الأطباء وفتح فمي فناوله مساعده لفافة طويلة ورفيعة تشبه لفافات السجق وكاد يدخلها في فمي ففتحت عينيَّ، فرجع إلى الوراء وهو يصرخ، فانتبه جميع من بالمبنى، فوجدت العديد من المسدسات مصوبة تجاهي.

سمعت الدباغ يقول لمساعده بغضب: كيف لم تنتبه أنه ما زال حيًا؟ هيا أحضر حبة أخرى وضعها في فمه.

قال الرجل وهو يرتجف من الخوف: لم يتبق ولا حبة.

قال الدباغ: حسنًا لا يهم، فسنخسر جثة واحدة، مضطرين لذلك.

ثم قال للرجال الذين يلتفون حولي وهو يشير إلي:
نفذوا.....

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل السادس عشر

## "حياة جديدة"

أمر الدباغ رجاله أن يتخلصوا مني، فصوبوا جميعًا أسلحتهم نحوي وكادوا يطلقون الرصاص ولكن أوقفهم صوت الدباغ مُطالبًا إياهم أن يتمهلوا قليلًا. تنفست الصعداء، فما زال لدي وقت لأعيش، وأتمنى أن أعرف لمَ فعلوا بنا هذا دون جُرم اقترفناه؟! أتى صوت الدباغ ليخرجني من أفكاري وهو يأمر رجاله ليقوموا بإحضاري إلى حيث يقف على مقربة من الباب. نغزني أحد الرجال بسلاحه في كتفي آمرًا إياي أن أنهض فنهضت من على السرير فقيد يَدَيّ من الخلف بيديه الضخمتين ودفعني دفعًا بغلظة لأتحرك باتجاه الدباغ حتى أوقفني أمامه مباشرة وأحاط بي باقي الرجال مخافة أن أهرب وهذا ما كنت أتمناه ولم أستطع. باب الحرية بيني وبينه خطوات قصيرة ولا أستطيع أن أفر منه؛ لأن هؤلاء الجدران البشرية الضخمة تحيط بي من كل اتجاه وما زالت أسلحتهم مصوبة تجاهي.

أحضر مساعد الدباغ -والذي عرفت أنه يناديه تايجر- كرسيًا فجلس الدباغ أمامي وظهره للباب ثم سألني ببرود: ما اسمك يا فتى؟ وما علاقتك بهؤلاء؟ -وأشار لجثث أصدقائي- هل عرفتهم لحظة السفر فقط أم أنكم أصدقاء؟

أجبته والدموع تترقرق في عيني فخرج صوتي مختنقًا بالبكاء: اسمي 'سليمان سالم'، أحدهم كان صديقي المقرب وزميل الجامعة أما البقية فقد كانوا رفقة سفر فقط لكن أحببتهم كأنني أعرفهم منذ زمن.

سألني مجددًا: كيف لم تتناول الحبة مثلهم؟!

أجبته: إنه القدر! كنت مرهقًا جدًا وأخلدت للنوم مؤثرًا إياه على تناول الطعام وتلك الحبة وعندما استيقظت وجدتهم جميعًا جثثًا هامدة فحاولت أن أنجدهم ولكن لم أستطع فقد تأخرت وفارقوا الحياة قبل أن أفهم ماذا يحدث حولي؟

نظر الدباغ إلى تايجر وضحكا ثم نظر إلي وقال: تنجدهم! أتظن أنك قادر على ذلك؟! إن تلك الحبة ليس منها نجاة! فهي تُهلك من ابتلعها في لمح البصر ولا نعرف لها علاجًا!

سألته بحنق: إذًا لماذا تستخدمونها؟ ماذا فعل لكم هؤلاء الأبرياء لتقتلوهم دون وجه حق؟! إنكم لم تتركوا لهم فرصة ليخطئوا حتى تتم معاقبتهم بهذا

الشكل البشع! أخبرني ماذا فعلنا لك ونحن لا نعرفك ولم نؤذك بشيء؟!

رد الدباغ بشرود: إنها الأوامر.

قلت له بحنق: أية أوامر تلك؟ وما هي تلك الأوامر؟ هل هي حصد الأرواح؟ أتمزح معي؟!

رد الدباغ بجدية: أنا لا أمزح، إنها الطريقة الوحيدة لننقل بضائعنا لعملائنا في كل الدول دون أن نثير الشبهات، أعلم أنها بشعة ولكن هل تظن أنني راضٍ عنها؟

أجبته بسخرية: لا أحد يفعل أي شيء مرغمًا فلا تهزأ بي وتظن أنني ساذج سأصدق ما تقول، وماذا تكون تلك البضائع التي تخافون عليها لهذا الحد؟

أمر الدباغ الأطباء أن يستمروا بعملهم لأن الوقت يمر ثم نظر لي ببرود وهبَّ واقفًا واقترب مني ووضع يديه على كتفيّ ونظر في عينيّ وقال بهدوء: نعم، هناك من يفعل أشياءً لا يحبها مرغمًا وأنا واحد من هؤلاء، لا تصدقني بالطبع، فما رأيك أن نجرب هذا الأمر معك؟

ابتسم ابتسامة جانبية أربكتني وصمت منتظرًا ردي فسألته بتوجس: ماذا تعني؟!

أدار ظهره لي ثم قال وهو يتمشى حولي: سأجعلك تعمل معي مرغمًا وللأبد، ولن تجرؤ على الانتقام مني، ولن تجرؤ على أن تتركني، وسأجعلك تحبني أيضًا وتدافع عني دون أي جهد مني، وهذا تحدي، فهل تقبل التحدي؟ أم أجعلك تلقى نفس مصير أصدقائك؟

ذُهلت مما قال! فكيف أعمل مع من قتل صديقي المقرب؟ بل كيف أقوم بهذا العمل البشع؟! هل أرفض وألحق بأصدقائي ويضيع حقي وحقهم؟ أم أقبل وأكون واحدًا من رجاله وأشارك في قتل المزيد من الأبرياء؟ شتتني التفكير ولكن أتتني فكرة مفاجئة ألا وهي: أن القرب من عدوك يخلق لك فرصة سهلة لتنتقم منه؛ وذلك عندما تتصنع حُبه فيَبُح لك بكل أسراره وتعرف نقاط ضعفه وقوته. سأقبل التحدي وأحظى بفرصة للحياة فلربما أتى يوم أستطيع فيه الانتقام.

نظرت إليه نظرات واثقة وقلت له: أقبل التحدي ولكن لدي شرط.

نظر إليّ وقال باندهاش: أي شرط هذا؟

أشرت إلى تايجر وقلت: أن أحل محل هذا وأكون ذراعك الأيمن.

لم يتردد الدباغ ورد على الفور: أقبل شرطك.

اندهش تايجر مما قيل وقال باستنكار موجهًا كلامه للدباغ: كيف توافق على شرطه هذا بدون تردد؟! أنا رجلك المخلص، أنفذ كل أوامرك، ولم أغضبك ولو لمرة، فكيف تتركني وتجعله يعمل مكاني؟ كيف تثق به هو وتتركني أنا محل ثقتك؟! وإذا حل محلي فأين سأكون أنا إذًا؟!

نظر له الدباغ وابتسم وقال: تريد أن تعرف أين ستكون؟

لم ينتظر رده؛ فبسرعة البرق أمسك فكه بيده اليسرى وفتحه وبيده اليمنى أخرج علبة من جيبه وفتحها وأفرغها في فمه ثم أغلقه ودفعه ليسقط على الأرض، وما هي إلا لحظات وسمعنا صوت الانفجار.

ارتجف قلبي مما حدث؛ فقد قتل دون تردد أو شفقة رجله المخلص الذي يعمل معه منذ سنوات! فماذا

سيفعل بي أنا؟! كأنه سمع ما فكرت به فأشار لرجاله أن يتركوني ووضع ذراعه على كتفي وقال لي: كان يظن أنه سينجو بعدما تركك حيًا وأخفق في عمله! السهو عندي مثل الخطأ ولا مجال للغفران، فانتبه لأفعالك جيدًا فقد أصبحت مكانه الآن، ولكن إن أخطأت مثله فستلقى نفس مصيره وربما بطريقة أبشع.

ثم نظر للأطباء وقال: ها قد أصبح لديكم اثنتا عشرة جثة كما كان مقررًا، هيا أسرعوا وأنهوا عملكم قبل نفاد الوقت.

ثم توجه ناحية الباب وهمَّ بالخروج آمرًا إياي أن أتبعه فخرجت خلفه وخرج الخمسة رجال الذين قدموا معه وركبنا السيارات وتوجهنا إلى قصره الفخم الذي يقع بجوار البحر. كان قصرًا غاية في الفخامة والإبداع، كان مُبهرًا بحق، خصص لي الدباغ غرفة كبيرة بجوار غرفته، كانت جميلة وواسعة جدًا ربما بحجم شقتي في مصر.

مضى على هذا اليوم عامان تعلمت فيهما كثيرًا من أمور الحياة التي كنت أجهلها وكل شيء عن هذه المهنة؛ عرفت أسرارها ومن هم رجالها الكبار، وعرفت أيضًا أن القائد الأكبر هو من يوجههم كَدُمَى الماريونيت ولكن لم يره أحد منهم قط. في تلك المدة

قمت بعملي على أكمل وجه ولكنني اشترطت عليه ألا أقوم أنا باستقبال الشباب القادمين من مصر وقتلهم وعليّ فقط متابعة سائر العمل، فوافق وتفهم أن هذا بسبب ما حدث لأصدقائي. أخلصت له في عملي فأحبني بشدة ووثق فيَّ لأقصى درجة، وأصبح يعاملني كأنني ابنه. بعد مرور العامين أمرنا القائد الأكبر بأن نعود إلى مصر لنقم بتأسيس مصنعًا نباشر فيه عملنا بشكل أوسع، فعدنا إلى مصر وبنينا القصر وأسسنا المصنع منذ ثلاثة أعوام، وأصبحنا نستقبل الجثث بعدما كنا نصدرها. أصبح الدباغ ذا شعبية كبيرة في البلدة وأحبه الجميع ووثقوا به. طوال تلك المدة لم أنسَ فكرة الانتقام، تظاهرت بحب الدباغ لكن ما زال قلبي يبغضه. لم أنتقم طوال تلك المدة؛ فقد كنت أود أن يكون انتقامي ليس له مثيل، وليس من الدباغ فقط بل من القائد الأكبر الرأس المحرك لكل هذا، عديم القلب. فكرت في طرق كثيرة ولم أستطع تنفيذها، حتى أتى ذلك اليوم عندما رأيت تقية تتلصص علينا بدافع الفضول، خفت أن يقتلها فساعدتها على الهرب، وعندما علمت بما حدث لأهل القرية فكرت أن الوقت قد حان لأفعل شيئًا أوقف به سطوة الدباغ والشر الذي يفعله. في الصباح عندما رأيت تقية جالسة على شاطئ البحر في الجهة المقابلة شعرت أنها ربما تساعدني بما أنها عرفت جزءًا من السر فذهبت إليها وحدثتها، كنت أخشى أن ترفض وحينها سأضطر لاستخدام أسلوب الدباغ معها وأهددها بكشفها وأجبرها على

العمل معي، ولكنها وافقت وكدنا نقترب من اكتشاف ماهية هذا النبات، ولكن فاجأنا موت أهل القرية، وبعدها كشفك لنا، فماذا ستفعل بنا الآن يا حضرة الضابط؟

نظر له عادل بصمت لبرهة ثم قال: ...





HR Hebatallah Rizk Essa

# الفصل السابع عشر
# "تعاون"

قال الضابط عادل بكل جدية: أريد منكما أن تتعاونا معي لنقبض على الدباغ وكل من يدعمه، فما رأيكما؟

ردت تقية بحماس: أنا موافقة بالطبع؛ فأنا سأبذل كل جهدي لأنتقم لأمي وأخي وكل أهل قريتي، رغبتي قوية في أن أقتص منهم جميعًا وليس الدباغ فقط.

قال عادل بحماس لا يقل عن حماسها: هذا ما كنت أتوقعه لذا طلبت مساعدتكما؛ فوحدي لن أقدر ووحدكما لن تقدرا فيجب أن نوحد جهودنا ونتعاون؛ فكل واحد منا لديه ميزة غير موجودة عند الآخر فالأفضل أن نستغل ذلك لنغتنم الوقت ولكن عملنا هذا سيكون بشكل سري بعيدًا عن عملي وإن كنت سأستفيد بسلطتي لتسهيل الأمور ولكن لا ينبغي أن يعلم بالأمر أحد غيرنا لسلامتكما أولًا، وثانيًا حتى لا يعلم الدباغ وأعوانه بالأمر فيأخذوا حذرهم ويفسد كل شيء فأنا لا أستبعد وجود جواسيس له في كل مكان خاصة عندنا.

التفت إلى سليمان ونظر له بوجه متسائل مندهشًا من صمته، فقال له: فيمَ أنت شارد هكذا يا سليمان؟! لَمْ تخبرني رأيك، هل أنت معنا أم لا؟! فيمَ تفكر؟

رد سليمان وقد بدا التوتر واضحًا في لهجته: بالطبع أريد أن أكون معكما؛ فهدفي منذ سنوات هو الانتقام من الدباغ، فحق صديقي لم أنسَه ولن أتنازل عنه ما حييت ولكن لا أدري لمَ خشيت أن يتم القبض عليَّ معهم ومحاكمتي جراء جرم لم أختره ولست راضٍ عنه ولم أقترفه، فقد حاولت جاهدًا أن أكون بعيدًا عن القتل ونبش القبور فكان عملي مقتصرًا على القصر فحسب وتوصيل أوامر الدباغ لرجاله ولكن بما أنك تقول أن الشرطة لن تعلم بتعاوني معك فسأكون في نظرهم رجل من رجال الدباغ ومتهمًا مثلهم وأعتقد أن جزاءنا جميعًا سيكون الإعدام! سأتعاون معكما على أية حال ولكن أود أن أطمئن، فلا أريد أن أُعاقب وأنا بريء.

نظر له عادل صامتًا للحظات قبل أن يقول: لا تخش شيئًا يا سليمان فأنا أعرف ما أفعل ولن يضركما أنتما الاثنان أي أذى سواء من الدباغ أو من الشرطة؛ فأنا ما أتيت إليكما إلا بعد تفكير عميق ومدارسة للأمر جيدًا من كل جوانبه، أنا أذكى مما تتصور يا سليمان فأرجوك توقف عن التفكير حتى لا تتوتر أكثر وتفسد كل شيء ويكشفك الدباغ، والآن يجب أن نترك كل هذا

جانبًا ولنعُد أنا وأنت من حيث أتينا فقد اقترب الفجر ويجب أن نذهب قبل أن يستيقظ أهل القرية ويكتشفوا أمرنا.

ردت تقية: نعم، أرجوكما، فأنا لا أحب أن يظن أحدهم بي السوء، ولكن كيف سنتواصل معًا.

أجابها عادل: كل ليلة بعد منتصف الليل موعدنا هنا، فاتركي باب المختبر مفتوحًا قبل الوقت بقليل حتى ندخل منه بسهولة ولا ننتظر كثيرًا بالخارج حتى لا نلفت الأنظار وأغلقيه بعد ذهابنا مباشرة حتى نطمئن أنكِ بأمان.

ثم وجه نظره إلى سليمان وطلب منه أن يعطيها مفتاح المختبر الذي معه فأخرجه من جيبه وأعطاه لها ثم تابع عادل: ولكن قبل أن أذهب أريد أن أخبركما أن الأمر دخل في طور الجدية والأهمية فيجب أن نسرع ونؤدي مهامنا على أكمل وجه وهي كالآتي؛ أنت يا سليمان ستتلصص على الدباغ وتحاول جمع أي معلومة ومعرفة خططه القادمة وفيمَ يفكر؟ وهل يحادث القائد الأكبر أم لا؟ وفيمَ يحادثه؟ فلتتعمق أكثر في البحث ربما تجد لديه شيئًا هامًا يفيدنا فمؤكد أنه يخفي عنك الكثير، أما أنتِ يا تقية فعليك البحث أكثر في أمر النبتة وتحليل العينة المتبقية مرة أخرى بتعمق

ربما تكتشفين أمرًا جديدًا، أريدك أن تعتصري مخك وتستعيني بكل ما درستِ وخبراتك في الكيمياء لنعرف عن هذا الأمر أكثر وفي أسرع وقت، أما أنا فسأكثف البحث عن تاريخ الدباغ وأجمع المعلومات عن حياته في أوكرانيا وعن تلك الشبكة فلربما وجدنا ثغرة تفيدنا، لا وقت للراحة يا شباب فالوقت يمضي والخطورة تزداد، هيا بنا يا سليمان.

نهضوا من أماكنهم واتجهوا للمختبر ودلفوه ثم فتحا بابه الخارجي وراقبا الأجواء بالخارج ثم خرجا بعد أن ودعا تقية واطمأنا لعدم وجود أحد بالخارج، ذهب كل واحد منهما في اتجاه ليعود لمستقره وأغلقت تقية الباب خلفهما بالمفتاح وعمدت إلى مختبرها وارتدت البذلة التي أحضرها سليمان سابقًا وأخرجت علبة العينة فوجدت أن العينة التي أحضرها سليمان صارت رمادًا مثلها مثل جثث أصحابها فحزنت وكادت تفقد الأمل ولكنها قررت تحليل ذلك الرماد فلربما توصلت لشيء هام، وها هي تضع عينة منه تحت ميكروسكوبها وتراقبها بدقة وعين تحليلية فوجدت أنه ما زال بها آثار من تلك النبتة فقامت بمحاولة فصلهما عن بعضهما بصعوبة ولكنها نجحت أخيرًا. قامت بنزع كل آثار النبات عن الرماد من العينة كلها التي أحضرها سليمان ووضعت كل قسم منهما في برطمان محكم الغلق ثم أخذت عينات صغيرة ووضعتها في أنابيب

الاختبار ووضعت على كل عينة مادة معينة لتختبر تفاعلها مع الأحماض والمواد المختلفة. ظلت تعمل حتى الصباح ولم تشعر بالوقت، وما إن انتهت من تحليل العينات حتى انتبهت أنها ضيعت الفجر وكان وقت الضحى فحزنت لذلك وخلعت البذلة بعد أن طهرتها وأغلقت مختبرها وذهبت لتتوضأ. صلت الصبح ثم الضحى وتلت وردها القرآني وأذكار الصباح ثم تناولت إفطارها وأخلدت للنوم حتى أذن الظهر فنهضت وصلت فرضها ثم جلست في مصلاها تفكر بعدما أنهت أذكار الصلاة. أخذ التفكير منها مأخذه فهي لا تعلم هل ما توصلت إليه من تحليل العينات ذا فائدة أم لا؟ وكيف يمكن التخلص من آثار تلك النبتة المبهمة؟ فجأة تذكرت شيئًا هامًا أغفلها عنه حزنها على أمها وأخيها، فنهضت مسرعة إلى مختبرها وارتدت البذلة ثم بدأت التجربة....

# الفصل الثامن عشر
# "أخبار شيقة"

ها قد أقبل منتصف الليل أخيرًا فقد كانت تقية تنتظره بفارغ الصبر لتُدلي بما في دلوها من أخبار شيقة لعادل وسليمان. انتظرتهما في صالة بيتها وقد تركت باب المختبر الخارجي دون إغلاق ليتسنى لهما الدخول بسهولة، وها هو باب المختبر الداخلي يدق فانتفضت من مكانها وهرولت إليه وفتحته فوجدت أمامها كلًا من عادل وسليمان اللذان تزامن موعد وصولهما مع منتصف الليل مباشرة في آن واحد. أدخلتهما بسرعة وأوصدت الباب خلفهما وأخبراها أنهما أوصدا الباب الآخر جيدًا من الداخل لئلا يدلف منه أحد فيتلصص عليهم فهم الآن لا يثقون في أي أحد، وها هم يجلسون في صالة المنزل وبادرهما عادل بسؤاله: هل لديكما من جديد؟

أجابت تقية بحماس شديد: لقد حللت العينة واكتشفت شيئًا هامًا.

سألاها في آن واحد: ما هو؟!

أجابتهما: تلك النبتة آثارها لا تزول أبدًا حتى لو تحول الجسد إلى رماد فقمت بنزع آثارها عن الرماد وحللت تلك الآثار فوجدت أن جيناتها مبهمة غير معروفة، فحللت الرماد وحده فتفاجأت أن الأجساد تتحول مركباتها إذا ما اختلطت بآثار تلك النبتة إلى خلايا نباتية تجف وتتحول إلى رماد كربوني كأنها قطعة فحم اشتعلت بها النيران ثم تحولت إلى رماد! آثار تلك النبتة تشبه الشظايا ولكن بشكل أصغر، وقد فسرت وجود مادة الكربون في الرماد أنه من الممكن أن يكون عنصر الكربون من مكونات تلك المادة وعندما يختلط بوسط حمضي كالموجود في المعدة فإنه ينفجر، ربما يكون ذلك التفسير أقرب إلى الحقيقة ولكنني يأست من تفسير ذلك بحجة علمية خاصة أن تحليل النبات لا يظهر فيه عنصر الكربون، فلا أدري كيف يتواجد في الرماد؟ وكدت أفقد الأمل في إيجاد علاج؛ فكيف نجد علاجًا ونحن لا نعرف تركيبات النبات الجينية والذي هو السبب الرئيس للمرض؟ تركت كل شيء وهرعت إلى صلاتي أناجي ربي وأطلب منه أن يدلني وفجأة تذكرت المشرحة!

قاطعها سليمان بسؤاله قائلًا: لقد شغل تفكيري الفترة الماضية أمر الجثث كيف اتسعت لهم النعوش وقد تعملقت أجسادهم؟ لقد فكرت كثيرًا في الأمر ولم





Hebatallah Rizk Essa

أتوصل لتفسير ولم يتسنى لي سؤال أي منكما أو أي أحد من أهل البلدة فما الذي حدث لهم؟

ردت تقية: عندما أخذني الضابط عادل لأرى أمي وأخي لآخر مرة وفور أن نظرت إليهما بعد أن فتحوا الثلاجة وأخرجوهما انبهرت؛ فقد عاد جسداهما إلى حجمهما الطبيعي ولم يظهر عليهما أي مظهر تغيير كالذي كان قد أصابهما في القصر! وقتها عَزوت ذلك إلى أنه ربما درجة البرودة الشديدة الموجودة في ثلاجات الموتى قد صدمت ذلك الوباء وأضعفت من تأثيره بل أخفته تمامًا مما أعاد الأجساد لشكلها السابق! وقتما تذكرت ذلك فكرت أن أضع العينة في وسط متجمد ربما تَغَير شيء في تركيبها، هرعت إلى المختبر وأخذت عينة صغيرة ووضعتها في برطمان محكم الغلق ووضعته في مُجَمِدْ ثلاجة المختبر وتركتها لمدة ساعتين وأخرجتها فوجدت أنها قد ذبلت قليلًا فتركتها مدة أطول 6 ساعات أخرى ثم أخرجت العينة قبل قدومكما بقليل فوجدت أنها قد صارت رمادًا وانتهى تأثيرها تمامًا! وقتها تذكرت كلام سليمان عندما أخبرني أن النبتة بعد عشرة أيام تتحول إلى رماد هذا إن تُركت في مكانها الذي نبتت فيه لكنها تعيش مدة أطول لو امتزجت بوسط آخر كأجساد البشر أو الأسماك ومن الواضح أن اختلاف تركيب جينات البشر هو ما يسبب اختلاف تأثيرها عليهم، ولكن ها قد

عرفنا العلاج فكيف سننقذ الضحايا القادمة؟ فمن المؤكد أن ضحايا القائد الأكبر لن ينتهوا طالما أن هذا النبات ما زال ينمو.

قال عادل بتساؤل: أليست أوروبا بلادًا باردة؟ والبرودة تقتل آثار تلك النبتة فلربما تقتل النبتة نفسها، وها قد اقترب فصل الشتاء وسوف يقضي عليها.

رد عليه سليمان: للأسف هم يستعملونها منذ سنوات صيفًا وشتاءً ولم يتوقف تأثيرها قط، ربما تحتاج درجات برودة أعلى من ذلك، ويبدو أن الأجواء في تلك البلدة مناسبة لنموها لذلك لم تنمو في أي بلدة أخرى.

قال عادل: سنفكر في أمر التخلص منها لاحقًا، ولكن الآن هل لديك من أخبار أو أدلة يا سليمان؟

قال سليمان بتوتر: هناك شيء قد أخفيته عنكما.

سأله عادل بشك: ما هو ذاك؟

أجابه سليمان: الصور والفيديوهات الخاصة بالحفل.

سأله عادل بلهفة: ما بهم؟ ألم تقل أنك أمرت رجالك بإعدامهم؟

قال سليمان: نعم قلت ذلك للجميع لأُطمئن الدباغ وأجعله يثق بي أكثر ويطمئن أن لا شيء ضده فيتحرك بحرية ويعيد نشاطه مرة أخرى وهذا ما قد حدث عندما ذهب لأهل البلدة لتعزيتهم دون وجل، وها هو قد هاتف القائد الأكبر صباح اليوم وأخبره بكل ما حدث واتفقا على أن يواصلا العمل ولا يلتفتا لكل ما جرى طالما لا يوجد دليل وحتى إن وُجِدَ فلا شيء يستطيع إيقافهما! ولكن الدليل موجود وقد أحضرته معي لتخبئه أنت يا حضرة الضابط ليكون في مأمن إن كُشف أمري.

سأله عادل: ماذا تعني بالدليل؟ أتقصد الصور والفيديوهات؟ طمئني وأخبرني أن توقعي صحيح.

رد عليه سليمان: نعم صحيح، لقد أخذتهم من المصورين بعد الحفل مباشرة وأخفيت كروت الميموري تلك وأوهمت الدباغ أن المصورين سيقومون بتحميض الصور ويطبعونها وينقلون الفيديوهات على فلاشات ويرسلونهم لي، ويوم تذكر هو الدليل ذاك اليوم الذي قبضت عليه فيه تصنعت أنني أُهاتف أحد رجالي وآمره أن يحضرهم ويتخلص

منهم لكن ذلك لم يحدث مطلقًا وأحمد الله أنه لا يعرف أي من المصورين ولا يعرف أرقامهم ولن يستطيع التأكد منهم فهو يثق بي.

ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة وأعطاها لعادل الذي فتحها ووجد بها عشرة كروت ميموري تحوي كل صور وفيديوهات الحفل فأغلقها وأدخلها في جيبه وقال لهما: لقد أديتما عملكما على أكمل وجه وأرجو أن تستمرا في هذا النشاط، أما أنا فلدي خبرًا لا يقل أهمية عما أخبرتماني عنه.

تساءل سليمان وتقية في آن واحد: ما هو؟ لقد شوقتنا.

رد عليهما عادل بحماس لا يقل عن حماسهما: لقد توصلت إلى....

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل التاسع عشر

## "انتقام"

قال الضابط عادل بغبطة: لقد توصلت إلى معرفة موقع الحقل الذي ينبت فيه ذاك النبات الغريب؛ فقد حدد موقعه الإنتربول بالتعاون مع السلطات الأوكرانية ولكن بشكل سري تمامًا، والآن نستطيع التخلص منه نهائيًا بعد ما توصلت إليه تقية؛ فقد واتتني فكرة رائعة سأخبرهم بها ولكن لن نتمكن من تنفيذها إلا بعد القبض على كل الشبكة فرجال القائد الأكبر لا يتركون الحقل مطلقًا ويجب أن يكون فارغًا حتى لا يعيق تنفيذها شيء.

سألته تقية الفضولية بفضول كعادتها: وما هي الفكرة؟

نظر لها نظرات متبلدة وقال: تقية، اتركي فضولك جانبًا قليلًا أرجوكِ، فما زلت أفكر بها ومن المؤكد لن أطلعك عليها؛ فلن تشتركي في تنفيذها فلمَ تسألين عن ماهيتها؟!

توترت تقية خجلًا وشعرت أنها قد تدخلت فيما لا يعنيها بشكل مبالغ فيه فاعتذرت له.

تساءل سليمان بفضول شديد هو الآخر: أقلت الإنتربول؟! كيف توصلت إليه وعرفت ما توصلوا إليه وقد قلت أنه سر؟!

توتر عادل فنهض من جلسته وتحرك قليلًا من مكانه ثم قال: لأنني لست ضابطًا في المباحث.

نظرت تقية لسليمان الذي نظر لها هو الآخر وقد تملكتهما الدهشة ثم قالا في آن واحد: من تكون إذًا؟ أأنت من رجال الدباغ؟!

ضحك عادل بصوت خفيض حتى لا يسمعه أحد ثم قال: حقًا إنكما تشبهان بعضكما البعض، يا لكما من أحمقان! كيف أكون من رجال الدباغ وأنت تعرفهم جميعًا يا سليمان؟ ولا تظنا أنني من رجال القائد الأكبر فهذا ليس صحيحًا بالمرة، أنا ضابط ولكن لست شرطيًا عاديًا؛ فأنا ضابط في المخابرات وأتعاون بدوري مع الإنتربول والسلطات الأوكرانية ويوجد غيري الكثير من كل الدول التي تباشر بها الشبكة نشاطها، نحن

نتعاون لنسقط تلك الشبكة كلها في آن واحد، كل من يعرف معلومة منا يرسلها للبقية فالإنتربول هو الذي يحركنا جميعًا، وبالمناسبة جميعهم بالإضافة إلى المخابرات المصرية يعرفون بتعاونكما معنا فاطمئنا لن يصيبكما سوء أبدًا.

فغر سليمان وتقية فاهيهما من الدهشة وهما ينظران لعادل نظرات يملؤها عدم التصديق ثم قالا بعد صمت قصير: ضابط مخابرات!

أجابهما عادل: ما بكما؟ لمَ كل هذه الدهشة؟! نعم أنا ضابط مخابرات، وهل كنتما تظناني أبحث خلف الدباغ لأجل الفضول فقط؟! بالطبع لا، فأنا مكلف بهذا ولكن فكرة التعاون معكما هي فكرتي أنا، والآن فلتفيقا من دهشتكما تلك فقد اقترب الفجر وحان موعد خروجنا يا سليمان، هيا يا تقية لتوصدي الباب خلفنا.

نهض سليمان ومضى هو وعادل وخلفهما تقية التي أوصدت خلفهما الباب بعد خروجهما وذهبت لتتوضأ وتصلي قيامها قبل الفجر وتناجي ربها أن يوفقهم في مسعاهم ويحفظهم من كل خطر فقلبها غير مطمئن لما هو قادم. في الليلة التالية عند منتصف الليل دق الباب الداخلي للمختبر ففتحته تقية فلم تجد أمامها إلا عادل

وحده فسألته عن سليمان فاندهش أنه لم يأتِ بعد فهو منضبط في مواعيده. أدخلته تقية وجلسا ينتظران سليمان ويتساءلان عن سبب تأخره فقد دقت الساعة الواحدة منذ قليل ولم يحضر، تسارعت دقات قلب تقية التي شعرت أنه ليس على ما يرام ثم ران الصمت عليهما يفكران وينتظران سليمان ليطمئن قلبيهما عليه.

••••••••••••••••••••••••••••

كانت الساعة الثانية عشرة إلا ربع، وكان قد تهيأ سليمان ليهبط الدرج ليتسلل خارج القصر ويذهب لبيت تقية ليُدلي بما لديه من أنباء، وها هو يخرج من غرفته ويهبط الدرج بتؤدة حتى لا يسمعه أحد خاصة الدباغ الذي تقع غرفته أمام غرفة سليمان مباشرة. كان الظلام يسود ردهة القصر المؤدية لبابه الذي ما إن اقترب منه سليمان وكاد يفتحه حتى سمع صوتًا من خلفه يقول: إلى أين يا سليمان؟

أجفل سليمان عندما سمع الصوت وعرف من المتحدث؛ ألا وهو الدباغ نفسه فالتفت إليه قائلًا وهو يحاول التماسك: شعرت بالاختناق الشديد فقررت الخروج لأتمشى قليلًا في الهواء الطلق لربما ارتحت قليلًا.

أضاء الدباغ مصباح الردهة ثم اقترب من سليمان وتحدث إليه قائلًا وهو يدور حوله: جيد، جيد، تريد أن تريح أعصابك أليس كذلك؟

رد سليمان بدهشة: نعم!

فضحك الدباغ ضحكات عالية قوية أدهشت سليمان وزادت من توتره فتساءل: ما المضحك في الأمر؟!

توقف الدباغ عن الضحك ونظر لسليمان بحدة في عينيه وقال بنبرة قوية: أضحك على نفسي؛ لأنني أنا الدباغ الذي حير الإنتربول وكل رجال الشرطة حول العالم، الدباغ أذكى رجال القائد الأكبر وأقواهم، قد خُدع! وممن؟! منك أنت يا من راهنت الجميع عليك وعلى إخلاصك ومحبتك، يا من عددته ولدي وكنت أهيئه ليصبح خليفتي ووريث مُلكي، أنت يا سليمان قد خدعتني أنا! ألا ترى معي أن هذا أمر مثير للضحك والاشمئزاز؟!

توتر سليمان وازدرد ريقه بصعوبة وقال متصنعًا الدهشة والحزن: أنا خدعتك؟! كيف تقول هذا؟ كيف خدعتك؟ ولمَ أخدعك؟ أنت تعلم أنني أحبك ولم أخذل

Hebatallah Rizk Essa

ثقتك مطلقًا، فكيف أخذلك الآن؟! كيف طاوعك قلبك لتقول هذا؟

أجابه الدباغ بنبرة ساخرة: أتظن أنك ستستطيع خداعي مجددًا؟ أخبرني لمَ خدعتني وكذبت علي وأخبرتني أنك هاتفت رجالك ليحضروا الصور ويعدمونها وهي معك منذ يوم الحفل؟ لِمَ لَمْ تخبرني يومها؟ بل لمَ أخفيتها عني؟ ما هدفك من ذلك؟ أتخطط للانتقام مني؟!

كان سليمان يستمع إليه وهو خائف أن يقتله الدباغ مثلما قتل مساعده الأول تايجر؛ فغلطته هو أعظم من غلطة تايجر بكثير والدباغ عند الخطأ يلغي مشاعره تمامًا.

تابع الدباغ: فيمَ شردت؟ أتفكر في تبرير لفعلتك؟ لا تحاول فلن أصدقك مهما قلت فأنا قد فقدت ثقتي بك نهائيًا، ولا تظن أنني قد أعفو عنك فلا تراهن على حبي لك فأنت تعلم أنني لا أرحم من يُخطئ.

كان سليمان صامتًا، لا يعرف حقًا ما يقول لكنه قال دون وعي منه: كيف علمت؟

أجابه الدباغ بحسرة: لقد لاحظت تغيرك منذ يوم جنازة أهل البلدة فقد أصبحت تصرفاتك غريبة من يومها، وشعرت أنك ربما تألمت لما حدث لهم أو أنك تذكرت أصدقاءك فقلت لنفسي سيهدأ مع الوقت لكنك لم تهدأ، اليوم كنت في المدينة أنجز بعض المصالح بنفسي، فأنت لم تعد تهتم بعملك جيدًا، فرأيت صدفة أحد المصورين الذين كانوا في الحفل يعبر الطريق فنزلت من سيارتي مسرعًا وهرولت خلفه وناديته لأطمئن أنه ليس لديه نسخًا أخرى من الصور، ويا لغرابة ما قاله لي! لقد أخبرني أنك أخذت كل النسخ منه ومن أقرانه يوم الحفل ولم تترك لهم أية نسخ فتعجبت ولم أستطع التعبير فقد عجز لساني عن النطق من شدة دهشتي، فلمَ خدعتني يا سليمان؟ منذ علمت بهذا وأنا أشك بك وتوقعت أن هناك من اتفقت معه ضدي ومن المؤكد أنك ستحاول مقابلته لتنقل له أخباري فأطفأت الأضواء وانتظرت وتمنيت من كل قلبي ألا تنزل، تمنيت أن يكون حدسي مخطئًا، لكن يا للأسف لقد كنت على حق وبالفعل كنت ستخرج لتقابل من يعاونك فمن هو إذًا؟ هيا أخبرني.

قال جملته الأخيرة وهو يصرخ به ولكن سليمان آثر الصمت فقال له الدباغ: لن تجيبني إذًا؟ حسنًا، هيا خذوه.

فجأة ظهر رجال الدباغ من العدم وقبضوا على سليمان وأخذوه إلى المصنع وانهالوا عليه ضربًا والدباغ يسأله مكررًا سؤاله عمن يعاونه لكنه لا يجيب. اغتاظ الدباغ وقال بحنق: ليتني تركتك تقابله ثم سرت خلفك واكتشفت بنفسي ولكني خشيت أن أكشف نفسي أمام الشخص الخطأ، وطالما لن تجيب فلا بد من عقابك إذًا.

ثم وجه حديثه إلى رجاله قائلًا لهم: علقوه من قدميه فوق جالون ضخم به ماء يغلي بقوة، أريد أن يغلي دماغه أكثر من درجة غليان الماء نفسه، أريده أن يعجز عن التنفس كما هو عاجز عن النطق الآن، هيا خذوه إلى الغرفة الأخرى وافعلوا كما قلت لكم وعندما يختنق ألقوه في الماء حتى يذوب جسده.

اندهش سليمان مما سمعه ولم يكد يصدق أن الدباغ قد بلغ به الشر مبلغه إلى هذا الحد! يا له من وغد بلا قلب! أخذ الرجال سليمان وخرجوا به من الغرفة متوجهين للغرفة المقابلة ولكن سليمان دبت في جسده القوة بشكل مفاجئ وأخذ يضربهم ويقاومهم فهو يقاوم مصرعه ونهايته المحتومة. ظل يقاوم، يضربونه تارة ويضربهم تارة أخرى حتى استطاع أن يتفلت من بينهم ويهرول ناحية السور ثم تسلقه في محاولة بائسة منه للهرب بأن يلقي بنفسه في الترعة ولكن قبل أن يلقي بنفسه بعد أن وقف على السور أدركته رصاصة أحد

الرجال في كتفه من الخلف والتي أسقطته في الترعة مباشرة.

خرج الدباغ على الصوت ووبخ رجاله قائلًا: أيها الحمقى! ماذا فعلتم؟ سوف تجده الشرطة الآن ويعلمون أننا من قمنا بذلك، هيا أسرعوا، ابحثوا عنه وأحضروه إلى هنا لنتخلص من جثته.

خرج الرجال على الفور يبحثون في الماء عن سليمان لكنهم لم يجدوه مطلقًا فعادوا إلى الدباغ مُنَكِسي رؤوسهم يخشون غضبه وعقابه ولكنه قال لهم بهدوء: لا تتركوا سنتيمترًا واحدًا في البلدة إلا وابحثوا فيه، لا تعودوا بدونه، أفهمتم؟

هز رجاله رؤوسهم وتفرقوا في القرية وحول الترعة بحثًا عن أي أثر لسليمان أو جثته.

••••••••••••••••••••••••••••••

كان عادل وتقية ما زالا قلقين على سليمان يتساءلان عما حل به وإذ بهاتف عادل يرن فتناوله على الفور فوجد أن الاتصال من ضابط الشرطة الذي يعمل معه، أجاب اتصاله فأخبره أن هناك شخصًا أتى وسأل عليه

لكنه مصاب في كتفه برصاصة. بعد دقائق أنهى عادل المكالمة وعلامات الدهشة والتوتر قد ملأت وجهه وقال لتقية بحزن شديد: سليمان!

ردت بلهفة متسائلة بتوجس: ما به؟

رد عادل بحزن وقد خانته دموعه: لقد..... مات!

Hebatallah Rizk Essa

# الفصل العشرون والأخير
# "نهاية الشر"

مات! كيف مات؟! ولمَ مات؟! ألم يعاهد نفسه ويعاهدنا أنه لن يموت قبل أن يكمل انتقامه؟ لمَ حنث بعهده إذًا؟ ألا يعلم أننا نحتاجه؟ ألم يعلم أنه هام بالنسبة لنا؟ ألا يعرف أنني أطمئن بوجوده وأتقوى به بعد ربي؟ ألا يعرف أنني أتيه دونه؟ كيف يموت ويتركني وحدي؟ أخبرني كيف يموت ويتركني هو أيضًا؟ لقد ظننت أنه سيكون سندي بعد أهلي؟ أهذا ما يقدمه لي؟ يتركني ويرحل مثلهم؟ كيف هنت عليه؟ كيف طاوعته نفسه أن يترك تقية وحدها؟ يا له من وغد! بل يا له من أحمق متسرع! ألم يخبره قلبه أن قلبي يحبه؟ ألم تخبره روحي أنها متعلقة به؟ ألم تخبره عيناي عن مكنون قلبي؟ ألم تخبره لهفتي عند رؤيته وسماع صوته عن مدى حبي له وخوفي عليه ورغبتي الدائمة في قربه؟ ألم يرَ كل هذا؟ أأصابه العمى فتركني دون وعي أم أنه يعلم فتجاهل كل هذا واختار الموت ليبتعد عني؟ أعلم أنه لم يستطع أن يحبني وما كان ليحبني فهو يراني حمقاء غبية تافهة فضولية ثرثارة ولكنه لم يرَ كل ما حملته له في قلبي من حب عميق لا حدود له، حقًا لم يمر على معرفتنا سوى أسبوع أو أكثر ولكن منذ متى كان يقاس الحب بالأيام؟ الحب الصادق هو ما كانت مشاعره حقيقية حتى لو كان عمره يومًا واحدًا أما

الحب المزيف مهما مرت عليه الأيام والشهور والسنين فإنه ينقص ولا يزيد أبدًا، أهكذا تكافئني يا سليمان بعد كل ما حملته لك من ود وحب؟! أتعلم أيها الضابط؟ لم أعد أحبه، أنا أكرهه الآن بشدة؛ فهذا الوغد تركني هو الآخر بعد أن علق قلبي به، تركني لأتعذب بفراقه لآخر عمري.

صدمة تقية بخبر موت سليمان جعلتها تعبر عن مكنون قلبها فأخرجت كل ما كتمته من مشاعر وهي تبكي وتبكي حتى ازداد نحيبها ولم تعد تقوى على الحديث فوضعت وجهها بين كفيها واستسلمت للبكاء لتعبر عن شدة حزنها بدموعها التي انسكبت مدرارًا على حبيب فقدته لم تعرفه إلا منذ أيام قلائل لكنها كانت كافية لتجعل حبه يتعملق داخلها كما لو أنها تعرفه منذ سنوات لا حصر لها.

يا له من حب صادق ذاك الذي يتخللك وأنت لا تدري، يملأ عليك شغاف قلبك رغم مقاومتك له، يُتعسك ويبهجك، يؤلمك ويقويك، ذاك الحب تكتشفه فجأة دون مقدمات وتتعجب كيف استطعت أن تحب ذاك الشخص بالذات؟ كيف يتسلل حبه داخل قلبك دون أن يمر على عقلك أولًا؟ ذاك الحب هو الحب الأول والأخير في قلبك ولن تستطيع أن تهب مثله لأي شخص آخر، فأنى لك هذا وهو الوحيد الذي امتلك مفتاح قلبك ولا توجد

نسخة أخرى لذلك المفتاح؟ ذاك الحب هو الذي يعيش وإن مات أصحابه.

لم يتفاجأ عادل بكلامها فهو ضابط محنك ذو عينين ثاقبتين يرى بهما ما تخبئه العيون حتى لو أظهر الشخص عكس ما بهما، لقد علم منذ رآهما أول مرة أنها تحبه وهو أيضًا أحبها ولكنهما كانا يجهلان ذلك.

قال عادل لتقية بهدوء يشوبه الحزن: أنا مضطر لأن أتركك الآن حتى أذهب إلى مقر الشرطة لأقوم بعملي وأحقق في وفاة سليمان، حقًا أنا متأكد أن الدباغ هو من فعلها لكن لا دليل لدي ولا أستطيع أن أتهمه بشكل صريح.

هبت تقية واقفة قائلة له: سآتي معك.

قال لها بذهول: ماذا تقولين؟ إنكِ بذلك ستثيرين الشكوك حولك وستعرضين حياتك للخطر.

ردت تقية: لا يهمني، المهم أن أراه لآخر مرة.

Hebatallah Rizk Essa

رد عليها عادل بحدة بلهجة آمرة: تقية، أحترم حزنك ولكن أرجوكِ تجلدي ولا تعرضينا للخطر فسليمان قد هلك ولن تنفعه زيارتك، ولكن بقاءك هنا سينقذنا، ولو كان سليمان حيًا لما سَرَهُ عنادك هذا، فأرجوكِ، من أجل سليمان ابقي هنا حتى أعود لكِ الليلة المقبلة إن شاء الله لأخبرك بما حدث.

ثم تركها وذهب مسرعًا متوجهًا إلى مركز الشرطة ليتحقق من الأمر وتركها وحدها تكابد حزنها.

أتت الليلة التالية ومرت ولم يحضر الضابط، مرت الليلة تلو الليلة ولم يحضر حتى انقضى أسبوعًا كاملًا. مر هذا الأسبوع على تقية باردًا كالثلج، موحشًا كظلمة الليل، ملتهبًا كلفح الشمس، ثقيلًا كالجبال، وحزينًا كحزن يعقوب. كم بكت وهي تتذكر أهلها وسليمان! كم شعرت بالوحدة والألم! كانت تنتظر الضابط ليخبرها أي خبر عن سليمان، كم تمنت لو أثلج صدرها وأخبرها أنه وجده حيًا! ولكن كل آمالها تحطمت عندما مر أسبوعًا كاملًا دون أن يدق بابها أحد.

كانت تجلس في مصلاها بعد أن صلت الظهر وإذا بها تسمع منادي المسجد يطلب من أهل البلدة جميعًا الاجتماع عند العمدة في بيته، فنهضت مسرعة وأبدلت

ملابسها وذهبت تحث الخطى إلى بيت العمدة علها تجد خبرًا عن سليمان. وصلت بيت العمدة فوجدت الساحة أمامه مكتظة بالناس ورأت من بعيد العمدة يقف في مدخل بيته وخلفه الخفر وإلى جواره يقف الضابط عادل! دق قلبها فزعًا حال رؤيته فقد خشيت أن تسمع خبر وفاة سليمان لكنها سمعت العمدة يقول: لقد جمعتكم بُناءً على طلب الضابط عادل رئيس المباحث فلديه خبر هام وأراد أن يخبركم به بنفسه.

طلب العمدة من عادل أن يتحدث بما لديه فقال عادل: يسرني أن أخبركم أن من كان السبب في موت أطفالكم ونسائكم قد تم القبض عليه من قِبل الإنتربول فهو عضو خطير من أعضاء المافيا وقد تم القبض عليه هو وكل رجاله وكل شبكته بعد أن حاول الهرب إلى أوكرانيا مرة أخرى ولكن تم القبض عليه هناك، أتحدث عن الدباغ بالطبع أعتقد أنكم خمنتم هذا.

سأله أحد الرجال: أكان بيننا مجرم خطير ونحن لا ندري؟ بل وكنا نُجله ونحترمه! ولكن كيف قتل أهلنا ولماذا؟ ماذا فعلوا له؟!

أجابه عادل: عندما سافر الدباغ إلى أوكرانيا كان فقيرًا معدمًا، بحث عن عمل في كل مكان ولم يجد حتى

تعرف على أحد رجال القائد الأكبر والذي أخذه ليعمل معه لدى سيده، وقد أعجب بالدباغ وعَلَّمَهُ كل أصول المهنة؛ ولأنه أعجب بذكائه جعله يده اليمنى وقبل أن يموت أوصى بكل ما يملك للدباغ حتى مكانته في المنظمة؛ فهؤلاء لا يتزوجون بل يرث بعضهم بعضًا. وثق به القائد الأكبر وأصبح من رجاله المخلصين، وقد حيروا الإنتربول ولم نتمكن من القبض عليهم مطلقًا فتعاون الإنتربول مع رجال الشرطة المصرية والأوكرانية وبعض الدول الأخرى التي يمارسون فيها تجارتهم للقبض عليهم حتى نجحنا في ذلك أخيرًا أول أمس بعد تنفيذ خطة محكمة وضعها الإنتربول بالتعاون مع الجهات التي ذكرتها والتي كان من ضمنها أن نسمح للدباغ بالهرب بعد أن خشي كشف أمره بعد قتله لسليمان ذراعه الأيمن.

سمعت تقية اسم سليمان فوضعت يدها على قلبها وبكت فقد تأكد لها الخبر الآن.

تابع عادل كلامه قائلًا: قام الإنتربول بتنفيذ الخطة التي فكرت بها بمساعدة تقية -وأشار إليها فتحولت كل الأنظار إليها غير مصدقين- وكانت الخطة للقضاء على النبات الذي كانوا يستخدمونه لقتل الشباب المهاجرين وحشو بطونهم بالبضائع المختلفة من أسلحة ومخدرات وتكفينهم وإرسالهم لبلادهم ثم نبش قبورهم

واستخراج جثثهم بعد الدفن ليأخذوا بضائعهم ثم يعيدون دفنهم. كانت الفكرة بعد اكتشاف تقية أن ذلك النبات تقضي عليه البرودة الشديدة فقمنا بإرسال طائرات خاصة محملة بكميات كبيرة من الثلج المجمد في أقل درجة مئوية وإغداق الحقل بها حتى يضمحل النبات ثم دفن آثاره في كمية أكبر من ذاك الثلج ووضع حماية على الحقل حتى لا يستغله شخص آخر، وهم يعملون الآن على توفير وسيلة تحاكي القطب الشمالي عن طريق آلات تضخ الثلج في تلك المنطقة والهواء شظيد البرودة بعد تغطيتها بالكامل حتى لا ترى الشمس. ذلك النبات عندما اختلط بجثث الموتى تفاعل معها وأنتج موادًا كيميائية سامة تسببت في حدوث خلل جيني لكل من استنشقها أو لمست جسده وقد كان أهلكم ممن استنشق تلك المواد المنبعثة من جسد ممرضتين مَرَّتَا من بينهم فأصابتهم العدوى التي يختلف تأثيرها من شخص لآخر حسب شدتها والتي كانت في حالة أهلكم التعملق الغريب. الآن قد أصبحتم آمنين وتم الانتقام لأهلكم؛ فسوف يُعرض الدباغ وفريقه للمحاكمة العاجلة هذا الأسبوع، فالأدلة موجودة وسيتم النطق بالحكم فيها ألا وهو الإعدام ولا مجال لهروبهم فهم في سجن مخصص تحت حراسة مشددة. قررت الدولة هدم قصر الدباغ ومصنعه وتوزيع كل ممتلكاته عليكم كتعويض عن الأذى الذي تسبب فيه لكم، وأنا أعلم أن لا شيء سيعوضكم ولكنها فرصة لتبدأوا حياة جديدة وتتزوجون وتنجبون.

شكره العمدة وشكره أهل البلدة أن خلصهم من هذا الداء المسمى الدباغ لكنه قال: لا تشكروني أنا فقط فَلَسْتُ وحدي من ساهم في القبض عليه؛ اشكروا تقية، فقد فعلت الكثير في سبيل الثأر لكم جميعًا، كانت شجاعة، قوية وذكية وأدت عملها على أكمل وجه.

نظر الجميع لتقية وبدأوا بشكرها وهي معهم قالبًا لا قلبًا؛ ففؤادها يعتصر حزنًا على من فقدتهم.

كانت الضجة عالية أسكتها صوت عادل يقول لهم: هناك أيضًا شخص آخر يستحق الشكر؛ فقد بذل أعوامًا من عمره وخاطر بحياته لينقذ الكثيرين من خطر الدباغ وشاكلته.

نادى عادل قائلًا: تعال إلى هنا.

فجاء شخص ملثم ما إن رأته تقية حتى شعرت بقلبها يخفق عاليًا وما إن استقر بجوار عادل ورفع اللثام عن وجهه ورأته حتى صاحت بصوت عالٍ تشوبه الدهشة والفرحة العارمة: سليمان!!

نظر لها سليمان وعيناه تدمعان وهز رأسه إيجابًا وهو يبكي من شدة الفرح فشقت الصفوف مسرعة إلى حيث يقف حتى انتهت إليه ووقفت أمامه وقالت والدموع تتلألأ في عينيها وقلبها يرجف من شدة الفرح: حمدًا لله على سلامتك يا سليمان، لقد أخبرني قلبي أنك لم تمت وها هو قد كان محقًا.

قال لها سليمان بحب: لقد عدت لأجله يا تقية.

ابتسمت تقية وازداد بكاؤها وسألته: ما الذي حدث لك؟

حكى سليمان لها وللجميع ما حدث معه يوم الحادث ثم تابع: من حسن حظي أنني كنت أرتدي بذلة واقية من الرصاص، وبعد أن أطلقوا الرصاصة سقطت في الترعة وسبحت مسرعًا للجهة الأخرى فوجدت سيارة تنتظرني وهي تابعة للضابط عادل الذي أمرهم بمراقبة القصر وإنقاذي إن تعرضت لخطر ما، أخذتني السيارة وسافرت بي إلى القاهرة حيث خبأتني المخابرات حتى تم القبض على الدباغ ولكن في الطريق اتصل قائد السيارة على مقر الشرطة وأخبر الضابط بما حدث والذي بدوره أخبر الضابط عادل فأخبر تقية أنني مِتُ وأخبر الصحف بخبر العثور على جثتي ليرتبك الدباغ

ويخطئ وهو ما فعله بالفعل فقد ارتبك وحاول الهرب واللحاق بمنظمته حيث تم القبض عليهم جميعًا والأهم أنهم قبضوا على القائد الأكبر والذي كان أوكراني الجنسية.

بعدما حكى سليمان ذلك طلب يد تقية من العمدة فوافق ووافقت تقية فطلب سليمان أن يتم عقد قرانهما اليوم طالما أن الكل مجتمع، فأحضروا المأذون وعقدوا القِران الذي كان وليها فيه هو العمدة وشهد عليه عادل وأحد كبار البلدة، أخذها سليمان بعد أن زفوهم أهل البلدة زفة بسيطة إلى منزل تقية حيث سيَقيمان. دخل سليمان وعروسه إلى بيتهما وما إن دلفاه حتى بث لها سليمان بمكنون قلبه وبثت هي بمكنون قلبها واعترفا لبعضهما أخيرًا بحبهما واتفقا أن يحبا بعضهما للأبد ولا يكذبان على بعضهما أبدًا.

تنحنح سليمان وقال لها: لدي خبران لا بد أن أخبرك بهما حتى لا أكون غامضًا بعد الآن.

سألته تقية بتوجس: ما هما؟

قال: أما الأول؛ فهو أنني بعد وفاة أصدقائي ذهبت إلى السفارة المصرية هناك وأخبرتهم بكل ما حدث وقد طلبوا مني الاستمرار في العمل معه وقد كنت عميلًا سريًا للمخابرات المصرية. الخبر الثاني هو؛ أنني أنا وأنت تم اختيارنا لنعمل في المعمل الجنائي هنا في المحافظة.

تفاجأت تقية بما قال وقالت له: إنك فعلًا تستحق لقب غامض!

فقال لها محاولًا استفزازها: وأنت يا ذات النظارات تستحقين لقب تقية الفضولية.

صاحت بوجهه: لا تقل ذات النظارات مجددًا.

قال لها بكل حب: لن أقولها؛ فأنتِ تقيتي، حبيبتي وفقط.

Hebatallah Rizk Essa

تمت بحمد الله وفضله وكرمه.

{وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ}

إلى اللقاء بإذن الله في الجزء الثاني "سفير التطهير".

هبة الله رزق عيسى

## ملاحظة هامة

تمت كتابة هذه الرواية في شهر نوفمبر ٢٠٢٢ ونُشرت كثيرًا تحت اسم "ما وراء القصر" لكنه لم أكن راضية عنه فعدلتها التعديل الأخير في هذه النسخة وانتهيت منه ومن تنسيقها يوم الخميس الموافق ٣٠ نوفمبر 2023

وهذا آخر تعديل لها تم يوم الجمعة 31 يناير 2025